المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

# الشعبويّة الثقافية

## "مقاربة سوسيوثقافية لصورة طه حسين لدى القطاع الشعبويّ"

**Cultural populism**
**'A sociocultural approach to the image of Taha Hussein among the populist sector'**

بقلم الدكتور

# شحاتة محمد الحو

الباحث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة
جمهورية مصر العربية

العدد الرابع (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

# الشعبويّة الثقافية
## "مقاربة سوسيوثقافية لصورة طه حسين لدى القطاع الشعبويّ"

**شحاتة محمد الحو**
**الباحث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ جمهورية مصر العربية**
**البريد الإلكتروني** : maremelharsy@yhoo.com

## الملخص

تسعى الدراسات الثقافية إلى تقليص الفجوة بين النقد والمجتمع، تلك الفجوة التي عمقتها المناهج الشكلية لتوجهها إلى النص بوصفة بنية لغوية فحسب، وإقصاء كل ما يحيل إليه النص خارجها. فجاءت الدراسات الثقافية للنصوص الأدبية لتوسع الدائرة، ولتولي العناية للنص وما يحيط به أيضًا، وكيفية إنتاجه وقنوات تقديمه ومدى تأثيره في الأوساط المختلفة.

من هنا يحاول هذا البحث رصد الاستجابة الثقافيّة cultural response لقطاع من الجماهير له سمات ثقافيّة معيّنة (القطاع الشعبويّ) للسرديّة الثقافيّة الرسميّة حول طه حسين، هذه السرديّة التي نُسِجَت من واقع سيرته الذاتيّة، وأكدتها مؤلفاته ومعاركه الفكريّة والسياسيّة المختلفة، وتُقَدَّم عَبر القنوات الثقافيّة الرسميَة. وفي المقابل نُسِجت سرديّة أخرى مضادة ألصقت بطه حسين صفات مغايرة، وأوّلت مسارات حياته وأطروحاته الفكريّة انطلاقًا من دوافع ذاتيّة أو سياسيّة أو ثقافيّة أو دينيّة، هذه السردية أيضًا تُقدّم للجماهير بوسائل متاحة وممكنة، ومن ثَمَّ نحاول أن نرصد تفاعل القطاع الشعبوي مع تلك السرديتين وتحليل أسباب انحيازه لإحداها.

ولقد صار لهذا القطاع صوت مسموع يمكن رصده وتحليل تفاعله مع مختلف القضايا الثقافيّة المطروحة، لاسيما مع انتشار شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، وإتاحة مواقع التواصل الاجتماعي، والصحافة الإلكترونيّة التي تتيح التعليقات لهذه الطبقات الشعبوية والمهمشة؛ للتعبير عن نفسها وطرح آرائها وأفكارها، مهما كان مستواها، عبر وسائل تعبيرية مختلفة منها الكلمة أو الرسم أو الصورة أو الإشارة الحركيّة، أو المقاطع المرئية أو الصوتية المسجلة.

**الكلمات المفتاحية:** الدرسات الثقافيّة، الشعبويّة ، السرديّة الثقافيّة ، طه حسين ، القطاع الشعبوي، النسق الثقافي ، الوسائط الرقمية.

# Cultural populism 'A sociocultural approach to the image of Taha Hussein among the populist sector'

**Shehata Muhammad Al-Haw**
**Researcher at the Arabic Language Academy in Cairo, Arab Republic of Egypt**
**Email: maremelharsy@yhoo.com**

## Abstract

**Cultural studies seeks to reduce the gap between criticism and society, a gap that formal approaches have deepened due to their orientation to the text only as a linguistic structure, and the exclusion of everything that the text refers to outside of it. Cultural studies of literary texts came to expand the circle, and to pay attention to the text and what also surrounds it, how it is produced, the channels of its presentation, and the extent of its influence in different circles.**

**Hence, this research attempts to monitor the cultural response of a sector of the masses with certain cultural characteristics (the populist sector) to the official cultural narrative about Taha Hussein. This narrative was woven from the reality of his biography, confirmed by his writings and his various intellectual and political battles, and presented through official cultural channels. On the other hand, another counter-narrative was woven that attributed different characteristics to Taha Hussein, and interpreted his life paths and intellectual theses based on personal motives.**

**Or political, cultural, or religious, this narrative is also presented to the masses through available and possible means, and then we try to monitor the interaction of the populist sector with these two narratives and analyze the reasons for its bias towards one of them.**

**This sector has become a voice that can be monitored and its interaction with the various cultural issues raised can be monitored and analyzed, especially with the spread of the international information network, the Internet, the availability of social networking sites, and electronic journalism, which allows comments to these populist and marginalized classes. To express herself and present her opinions and ideas, whatever their level, through various expressive means, including words, drawings, pictures, gestures, or recorded video or audio clips.**

**Keywords: cultural studies, populism, cultural narrative, Taha Hussein, populist sector, cultural pattern, digital media.**

بسم الله الرحمن الرحيم

## من ثقافة النخبة إلى الثقافة الشعبية:

يرتكز تحليل الأعمال الأدبية من وجهة الدراسات الثقافية على ربط العمل الأدبي بسياقه الاجتماعي والتاريخي، انطلاقًا من أنّ النص لا يعكس شبكة من العلاقات والتراكيب اللغوية والبنى الداخلية للعمل فحسب، وإنما يضيف إليها مجموعة من الشفرات الثقافية التي تمثل شبكة علاقات التأثير والتأثر بين مفرداته الثقافية ومحيطه الاجتماعي التاريخي والسياسي والاقتصادي.

ثم جاءت النقلة التالية بالتوجه التدريجي من الأدب الرسمي المعتمد أو الرفيع باتجاه الثقافة الشعبية أو الدنيا؛ لتركيز بؤرة الضوء على عمليات إنتاج الثقافة واستقبالها، والاهتمام الموسع بما يسمى بالاستقبال الجماهيري ووسائل الاتصال، فشملت موضوعات الدراسات الثقافية "أشكالًا ثقافية شعبية وسوقية وجماهرية كالإعلانات، والفضاءات المعمارية العادية، والرسوم المتحركة، والمحادثات، وتصميمات المنتجات، والأزياء، والثقافات الفرعية الشبابية، والأنواع الأدبية الشعبية (الرومانسية، الإثارة، الخيال العلمي)، والمجلات، والأفلام، وموسيقى الروك، وفنون الأداء، والصور والبطاقات البريدية، والراديو والتلفيزيون، والمقاطع المرئية [1]".

ومن ثَمَّ اتجهت الدراسات الثقافية إلى العناية الدقيقة بالموضوعات المهملة واليومية؛ بغية استجلاء القيم التي ترعاها، ومساءلة البنى الثقافية التي أفرزتها، فابتعدت كثيرًا عن الموضوعات المعتادة التي ألفها النقد

(١) فنسنت ب. ليتش: النقد الثقافي النظرية الأدبية وما بعد البنيوية، تر: هشام زغلول، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢م، ص ٢٠٧.

الأدبي والنصوص الرفيعة التي أولاها العناية من قبل، "فانصرف بعض أساتذة الأدب من ميلتون Milton إلى مادونا Madonna، ومن شكسبير إلى المسلسلات التلفزيونية التي تعالج مشاكل الحياة المنزلية والعائلية soap operas مقلعين عن دراسة الأدب(١)".

وما كان لهذه النقلة أن تحدث إلا بفعل بعض العوامل التي جذبت أنظار النقاد للاهتمام بالثقافة الشعبية، وعلى رأسها الإصلاحات في ميدان التعليم وبرامج تعليم الكبار في بريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية(٢)، وفيه بذلت المحاولات الأولى لتوسيع نطاق التراث المعتمد، "فمنذ نهاية القرن التاسع عشر فصاعدا، وجد النقد الأدبي والثقافي المرتبط بتقاليد النقد الثقافي والحضاري والماركسي مجالا للتعبير عن ذاته في تلك البرامج التعليمية في بريطانيا، وفي فترة ما بعد الحرب أصبح تعليم الكبار مهادا لتطور الدراسات الثقافية، وقد كان لشخصيات من مثل ريتشارد هوجارت، ورايموند وليامز، وستيوارت هوك أبرز الأثر في تطور الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب البريطاني، فكلهم درسوا الأدب الانجليزي وعملوا في تعليم الكبار، فتجاوزوا حدود الأدب الرسمي المعتمد، ووسعوا نطاق الدروس المدروسة بحيث تشمل – على سبيل المثال – ثقافة الطبقة العاملة والثقافة الشعبية، ووسائل الإعلام(٣)".

---

(١) جوناثان كولر: الأدب والدراسات الثقافية، ضمن كتاب النقد الثقافي نصوص تأسيسية، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، دار الفنون والآداب، العراق، ط١، ٢٠١٩م، ص ٨٩.

(٢) انظر: مقدمة رايموند وليامز لكتابة الكلمات المفاتيح، تر: نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٢٨ – ٣٠.

(٣) ك. نلوولف وآخرون: موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي – القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، جـ ٩، تر: إسماعيل عبد الغني، وهاني حلمي وآخرين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م، ص٢٤٤، ٢٤٥ .

ويرى بعض النقاد أن مرجعية الدراسات الثقافية تعود أولا إلى البنيوية الفرنسية ممثلة في الأعمال المبكرة للناقد الفرنسي رولان بات Roland Barthes، وبخاصة فيما طرحه في كتابه "أساطير الحياة اليومية" الذي نشر بين عامي ١٩٥٤م- ١٩٥٦م(١)، "وقد شجّع نموذج بارت على قراءة المعاني المضمنة للصور الثقافية، وتحليل الوظيفة الاجتماعية للبنى الثقافية الغربية، وبحث الممارسات الثقافية بداية بالأدب الرفيع، وانتهاء بالموضة والطعام(٢)".

ولعل من أبرز النّقاد الذين رسّخوا للعناية بثقافة الطبقة العاملة إلى جانب ثقافة النخبة رتشارد هوجارت Richard Hoggart (١٩١٨- ٢٠١٤م)، ورايموند وليامز Raymond Williams (١٩٢١- ١٩٨٨م)، وتيري إيجلتون Terry Eagleton (١٩٤٣- )، حيث تأتي أطروحات هوجارت في سياق التعامل الجاد مع ثقافة الطبقة العاملة، وبخاصة في كتابه "فوائد التعليم" عام ١٩٥٧م، حين طبق أنماط القراءة الفاحصة Close reading - التي طُبِّقت من قبل على نصوص الأدب الرفيع- على عدد من النصوص الشعبية الواسعة الانتشار كالروايات الشعبية وبعض أشكال الثقافة الشعبية الأخرى "وما يميز كتاب فوائد التعليم هو هذا التحول الجذري من الثقافة الرفيعة إلى ثقافة مجتمعات الطبقة العاملة(٣)".

---

(١) تُرْجم الكتاب إلى العربية تحت عنوان: "أسطوريات، أَسْطَرة الحياة اليومية" ترجمة: قاسم المقداد، دار نينوي للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١٢م .

(٢) جوناثان كولر: الأدب والدراسات الثقافية، ضمن كتاب النقد الثقافي نصوص تأسيسية، السابق، ص ٩١.

(٣) السابق: ص٢٤٦.

أما وليامز فلم يقصر مفهوم الثقافة على كونها مجموعة من الأعمال الفكرية والمتخيلة فحسب، لكن بوصفها طريقة كاملة للحياة[١]، ومن ثَمَّ فإن المعنى الكامن في الثقافة الرسمية ليس إلا بعض المعاني المتعددة لهذه الكلمة الواسعة النطاق؛ ولذا فإن تسميتها بثقافة النخبة لا يعدو كونه "معنى له أبعاد اجتماعية نخبوية؛ لأنه يجعل إهمال قيمة كل ما تستبعده خارج نطاقها فعلا مشروعًا[٢]". وعلى هذا كان لرؤيته أثر بالغ في تغيير النظرة السائدة إلى كافة الخطابات الشعبية، وقد أكد هذا في قوله: "إن خطابات كل أعضاء المجتمع، وليس أعضاء النخبة المثقفة فقط. يجب أن تؤخذ بالحسبان، إن هذه الإشارة إلى أن نموذج الدراسات الأدبية قد مات، ومن الصعب الآن أن نجده يعيش كما كان سابقا[٣]".

وقد انطلق إيجلتون من الفكرة نفسها في توسيع دائرة الأدب بحيث لا تقتصر على الرسمي والنخبوي فحسب، وإنما تتسع ليدخل في نطاقها الخطاب الشعبي بكافة صوره وأشكاله التعبيريّة، يقول: "وجهة نظري هي أن الأنفع رؤية الأدب بصفته اسما على ما يقدمه الشعب من حين لآخر، ولأسباب مختلفة من سياقات كتابية معينة داخل حقل كلي من النوع الذي سماه ميشيل فوكو (ممارسات الخطاب)، ثم إن أي موضوع لأية دراسة يجب

(١) حول تطور مفهوم الثقافة وتعدد معانيها انظر: رايموند وليامز، الكلمات المفاتيح، تر: نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٩٤ – ٩٩.

(٢) ك. نِلوولف وآخرون: موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي –القرن العشرون، السابق، ص٢٤٨.

(٣) عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٧.

أن يتناول كل هذا الحقل من الممارسات، وهذا أفضل من أن تظل الدراسة محصورة في محتوى أدبي غامض مبهم(١)".

ومن النقاد الذين أسهموا أيضا في تطور الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب الناقد الأمريكي جون بروكمان John Brockman (١٩٤١- ) من خلال طرحه حول ما أسماه بالنص الاجتماعي، وذلك في مقالته: "التفكيكية والنص الاجتماعي" عام ١٩٧٩م، وفيها يوسع دائرة التناص لتشمل نطاقا واسعا من الكتابات الاجتماعية والتشكيلات الرمزية وأنظمة التصوير، فالتناص لديه يربط النصوص بالخطابات السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية ، وهذه المجالات النصية تكوِّن في مجموعها النص العام أو النص الاجتماعي، وبذا حل هذا المفهوم لديه بديلًا عن نظرية التناص عند التفكيكية البالغة الضيق والمحدودية والتي تتمركز فقط في النصوص الأدبية التي تشير وتحيل إلى نصوص أدبية أخرى(٢)".

ولعل فكرة النص الاجتماعي التي طرحها بركمان كانت إحدى اللبنات الأولى التي كونت مفهوم النسق في النقد الثقافي، إذ يغدو النص الأدبي من منظور هذه الدراسات شبكة معقدة من الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة اجتماعيّة، وسياسيّة وثقافيّة، وتاريخيّة، واقتصاديّة.

ويمكن القول إن هذه الجهود كان لها أثر بالغ في تغيير النظرة المتعلقة بثقافة الجماهير، وليس فقط في توجيه بؤرة الاهتمام نحوها، إذ كانت هذه النظرة غالبًا ما تركز على أشكال الثقافة الشعبية أو الجماهيرية

(١) عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي: ص١٧، ١٨ .

(٢) فنسنت ب.لتش: النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات الى الثمانينيات، تر: محمد يحيى، وماهر شفيق أحمد، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٤٠٠ .

التي أسفرت عنها الوسائل الصناعية في الإنتاج والتوزيع (كالسينما، والإذاعة، والتلفزيون، والتسجيلات، والصحافة المصورة) بوصفها وسائل لبث خطابات معينة؛ بغرض التحكم في القطاع الشعبي وتوجيهه، وتلوين رأيه العام، "ويميل هذا الاتجاه الفكري إلى افتراض أن الجمهور المتلقي لهذه الأشكال الثقافية كان مستهلكًا سلبيًّا لتلك السلع التي فرضت عليه. أما الرسالة التي تحملها هذه السلع والهدف الذي تقصده، فكان يتم تفسيرهما داخل سياق إحدى النظريات الأيديولوجية الخاصة التي تنظر إلى جماهير الشعب على أنهم واقعون تحت تأثير وسائل الاتصال الجماهيري التي تتلاعب بهم(١)".

لكن هذه النظرة أخذت في التغير بدءًا من خمسينيَّات القرن العشرين بفضل أعمال هوجارت ورفاقه، وما قدمه مركز برمنجهام للدراسات الثقافية المعاصرة بعد ذلك في تحليل الخطاب الجماهيري، فلم تعد فكرة الهيمنة أو التلاعب بالجماهير لفرض رسالة معينة عليهم هي المفسر الأوحد لتبني القطاع الشعبي رسالة ما أو احتفائه بفكرة ما أو تداوله نصوص معينة، وذلك على الرغم من استعمال الأساليب الصناعية نفسها في الإنتاج والتوزيع "إنما الأقرب للواقع أن أفراد هذا الجمهور سوف يقومون بتفسير هذه الأعمال أو النصوص الثقافية وتداولها وتبنيها؛ لاستعمالها في أغراضهم الخاصة، وسوف يفهمونها في نطاق بيئتهم الخاصة وخبرتهم الحياتية(٢)".

---

(١) أندرو إدجار، وبيتر سيد جويك: موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية، تر: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) السابق، ص ٢٣٧.

ونخلص من ذلك إلى أن الدراسات الثقافية للأدب اتخذت من كافة أشكال الثقافة موضوعا لها، وأولت عناية خاصة بالثقافة الشعبية وما يتولد عنها من أشكال تعبيرية مختلفة، دون تفرقة بين ثقافة الصفوة وثقافة الجماهير، وبخاصة الكتابات المستبعدة والمهمشة والموصومة بالشعبوية ككتابات الجماعات المُهَمَّشة، وطبقات القاع، والحرفيين، والكتابات الجماهيرية وغيرها. إذ لم تعد بؤرة الاهتمام موجهة إلى ما هو نخبوي أو من إنتاج الصفوة، بل تحول الاهتمام إلى ثقافة اليومي والمهمش والمألوف، "وهكذا تغدو الثقافة الشعبية ثقافة للجماهير؛ إنها الخربشة على الجدران، والكتب الشائعة، والسينما الجماهيرية، والموسيقى الشعبية (ضد الموسيقى الكلاسيكية)، والفضاءات المفتوحة للمدينة (ضد صالات الفن)، والرياضة، إنها ثقافة الحياة اليومية لأكبر عدد من الناس[1]".

ومع انتشار شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وإتاحة مواقع التواصل الاجتماعي، والصحافة الإلكترونيّة التي تتيح التعليقات لهذه الطبقات الشعبوية والمهمشة صارت النوافذ أمامها مفتوحة؛ للتعبير عن نفسها وطرح آرائها وأفكارها، مهما كان مستواها، عبر وسائل تعبيرية مختلفة منها الكلمة أو الرسم أو الصورة أو الإشارة الحركيّة، أو المقاطع المرئية أو الصوتية المسجلة أو الموسيقى والدبلاج وغيرها، أو مواقع البث الشخصي المباشر، فوسّعت هذه الوسائط كثيرًا من تمثيل صوت الناس في الحياة العامة، لاسيما أن التعاطي مع هذه الوسائط لا يحتاجُ جهدًا أو مشقة في التدرب عليه وتعلّمه، ولا يتطلب المرور بحواجز من الاختبار والانتقاء،

(1)Pramod K Nayar, An Introduction to Cultural Studies, New Delhi, Viva Books, 2011, P. 5.

فهي متاحة أمام الجميع دون استثناء، وهذا ما يجعل التوجه لدراسة ما يعرضه هذه القطاع الشعبوي من محتوى للوقوف على تصوراته أمرًا مهمًّا في رصد اسْتجابته الثقافية cultural response للنصوص الأدبية والفنية المختلفة.

## الشعبويّة الثقافيّة ووسائل التأثير فيها:

ينتمي مصطلح الشعبوية populism إلى الخطاب السياسي المعاصر. وعلى الرغم من ظهوره في أواخر الأربعينيات من القرن التاسع عشر تقريبًا(١) ، فإن مفهومه إلى الآن لم يُحدَّد بدقة، ولا يزال مثار خلاف بين المتخصصين في تحليل الخطاب السياسي؛ ولعل هذا يعود إلى أن "البحث التاريخي لهذه الظاهرة ترك وجهها التعريفي ملتبسًا، وعرضة للخلط بينه وبين ظواهر وأيديولوجيات أخرى شمولية(٢)". يتبدّى هذا الالتباس في تعدد مفهوم الشعبوية فهي من ناحية "تستعمل لتوصيف الرؤساء اليساريين في

---

(١) كانت البداية الأولى لبروز الشعبوية نهاية الأربعينيات من القرن التاسع عشر في روسيا ؛ وعُرفت بالنارودنيكي Narodniki، وتعني بالروسية الشعبوية، وهي حركة ثورية تنحاز إلى الحياة الفلاحية والقرية الريفية، وقد انتاب هذه الحركة تطرف وعنف.

وأما الموجة الثانية للشعبوية فقد كانت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر في البلدان الصناعية في أوروبا وأمريكا الشمالية. واتسمت هذه الموجة بعدائها الواضح للنخب السياسية وللنظام البرلماني. ومن الدول التي برزت فيها الشعبيوية حينئذ فرنسا في الفترة من ١٨٨٦ حتى١٨٨٩م، وانتسبت إلى قائدها بولانجيه Boulanger. وكذلك الولايات المتحدة عام ١٨٩٠م، وقادها حزب الشعب البروتستانتي الأنكلوساكسوني الصغير (WASP) وضمت فلاحين وعمال مناجم.

على حين ازدهرت الموجه الثالثة: في الثلاثينيات من القرن العشرين في أمريكا اللاتينية، والتي بنيت عليها أنظمة تسلطية استبدادية، وهو ما تجلى في بروز الزعامة الكاريزمية في كل من الأرجنتين البرازيل.

(لمزيد من التفاصيل حول تاريخ الشعبوية انظر: وفاء علي داود، الشعبوية المعاصرة في تونس ديمقراطية أم هجين تسلطي، مجلة الدراسات السياسية والاقتصادية، كلية السياسة والاقتصاد – جامعة السويس، العدد الأول، السنة الثالثة، أبريل، ٢٠٢٣م، ص ٢٣١، ٢٣٢).

(٢) منى خويص: رجال الشرفات، دراسة تحليلية للظاهرة الشعبوية، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص١٣.

أمريكا اللاتينية والأحزاب المنافسة اليمينية في أوروبا، والمرشحين الرئاسيين اليساريين واليمينيين في الولايات المتحدة. والعبارة تستخدم لتشويه سمعة المنافسين السياسيين، وهي غامضة جداً، حيث تنطبق على أية شخصية سياسية(١)".

ومن ناحية أخرى يُنْظر إلى الشعبوية بوصفها إستراتيجية سياسية لجذب الفئات الدنيا من الشعب بغية الوصول إلى سدة الحكم، أكثر من كونها مبادئ نموذجية عامة تصلح لتكوين أيديولوجيا، أو نمطًا سياسيًّا يمكن تعميمه، فهي "إستراتيجية سياسية يستخدمها صنف من القادة الذين يسعون إلى الحكم عبر الحصول على الدعم المباشر من أتباعهم، وهذه المقاربة تلقى رواجًا بين الدراسين للمجتمعات الأمريكية اللاتينية والمجتمعات غير الغربية. وتقضي هذه المقاربة بروز شخصية قوية وكاريزمية تركز السلطة في يدها وتتواصل مباشرة مع الجماهير(٢)".

وعلى هذا فالشعبوية نوع من الفولكلور الذي يُسْتَغَلُّ سياسيًّا بوصفه أداة يستخدمها القادة والأحزاب لتحريك الجماهير في مناهضة الكيانات السياسية المنافسة "فهي ذلك التصرف الهاوي وغير المحترف، والذي يهدف إلى تعظيم الاهتمام الإعلامي والتأييد الشعبي، ويحاول عبر القادة إبراز أنفسهم وكأنهم شجعان يقفون مع الشعب ومعارضة النخبة في المجتمع(٣)".

---

(1)Cas Mudde and Cristobal Rovira Kaltwasser, Populism, A Very Short Introduction, USA, Oxford University Press, 2017, p.1

(2)Ibid. p 4

(3)Ibid. p 4

والسياسي الشعبوي وفقًا لهذا هو ذلك القائد الذي يسعى إلى استقطاب الطبقات الدنيا بدغدغة مشاعرها بخطاب توسلي مفعم بتقديس الشعب، ووصفه بأنه مستودع الحقيقة ومنبع الحِكَم ومصب التاريخ، في مقابل الهجوم على النخب بوصفها هي الزيف وضمير الشعب هو النقاء "فالشعبوية السياسية انفعالية حماسية تستبعد الفكر وتقدس الممارسة، كما تقدس العفوية بما هي تعبير أصيل عن جوهر الشعب النفيس، وإلى مديح الفوضوية والغوغائية، من حيث هي ترجمة للمبادرة الجماهيرية الحرة والمتحررة من قيود التنظيم البيروقراطي للحزب والنقابة وسواهما من المؤسسات(١)".

ويعتمد السياسي الشعبوي على مستوى لغوي قريب جدًّا من المستويات اللغوية للشرائح الشعبية، وينطوي خطابه غالبًا على محتوى عاطفي وديماجوجي، موشى بالشعارات الرنانة التي لا تحمل تصورًا واضحًا لبرنامج سياسيّ أو مخطط اقتصادي، بقدر ما تحمل رسائل انتقاد عنيف للبرامج السابقة أو المنافسة، ومناهضة شديدة للنخب السياسية ورميها بأبشع الاتهامات، والطعن في تمثيلها الحقيقي لإرادة الشعب والطبقات المهمشة، فالشعبويّة "تصور سياسي محدد، يرى أن شعبًا خالصًا ومنسجمًا يقف دائمًا ضد نخب غير أخلاقيّة، فاسدة وطفيلية، ويرى أن هذه النخب لا تنتمي إلى الشعب(٢)". ومن ثَمَّ يدرك السياسي الشعبوي أنه لا يمكنه التأثير

(١) عبد الإله بلقزيز: نقد السياسة في أمراض العمل السياسي، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، ط١، ٢٠١٩م، ص ١٢٢.

(٢) يان فيرنر مولر: ما الشعبوية، ترجمة: رشيد بوطيب، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، ط١، ٢٠١٧م، ص ٤٥.

في الجماهير وتحريكها إلا بواسطة العواطف المتطرفة والشعارات البرّاقة المبالغ فيها؛ لذا فإن نداءه السياسي يميل غالبًا إلى "مخاطبة الجانب العاطفي والمخيالي للإنسان وليس قدراته الفكرية... فلا توجد عقيدة متماسكة أو أيديولوجيا اسمها الشعبويّة، هناك شعارات أو نوع من التوليف بين الاحتجاجات الشعبية وبعض التركيبات الأيديولوجية[١]".

ويخلص جاي هيرمت Guy Hermit بعد دراسته لتاريخ الشعبوية وتطور صورها وأشكالها إلى تحديد خمسة معايير تحكم الشعبويات بعامة، وهي:

١. الشعبوية ذات طبيعة أخلاقية moralistic وليست براجماتية.
٢. الشعبوية مهلهلة وسيئة الانضباط ill-disciplined، وهي حركة سياسية وليست حزبًا.
٣. أنها قائمة على حالة ذهنية state of mind، وهي ليست عقيدة أو أيديولوجيا واضحة المعالم.
٤. الشعبوية تُناهض كل ما هو عقلاني أو مثقف anti-intellectual.
٥. وهي تعارض بشدة المؤسسات القائمة وتقف بالضد من الخيانة المزعومة للنخب، فضلًا عن ادعاء معاداة الرأسمالية على نحوٍ عام[٢].

(١) منى خويص: رجال الشرفات، دراسة تحليلية للظاهرة الشعبوية، السابق، ص ٦٥.

(٢) عبد الحميد العيد الموسوي، وحسام الدين علي مجيد: الشعبوية في الشرق الأوسط: ماهية الخطاب وخصائصه المقارنة، دراسة تحليلية للظاهرة الشعبوية، مجلة العلوم السياسية، العدد ٥٨، بغداد، ٢٠١٩م، ص ٦٣، ٦٤.

ويمكن أن نستخلص من ذلك أهم وسائل التأثير في الجموع الشعبوية، إذ تعتمد في صميمها على ثلاثة عناصر:

الأول: شخصية القادة الشعبويين أنفسهم، الذين يمثلون النواة التي تتحلّق حولها الجموع، وهم ليسوا بالضرورة من رجال الفكر أو التنظير، لكنهم "غالبًا شخصيات ذات سلطة، سواء كانوا قادة دينيين أو ديماجوجيين أو مذيعين تلفزيونيين أو مشاهير(١)"، بما تنطوي عليه شخصياتهم من مهارة خطابية وخصائص كاريزمية أو ما أسماه لوبون بالهيبة(٢) يمكنها التأثير في هذه الجموع، "وهي عبارة عن نوع من الجاذبية التي يمارسها فرد ما أو عمل أدبي أو عقيدة ما، وهذه الجاذبية الساحرة تشل كل ملكاتنا النقدية، وتملأ روحنا بالدهشة والاحترام(٣)".

ويتبدّى تأثير هذه المهارة الخطابية فوريًّا من خلال التفاعل الحي للجماهير بالتصفيق أو عبارات الاستحسان الجماعية مع كل فقرة شعاريّة من فقرات خطابه الخطاب المقدم، وبخاصة تلك الفقرات التي تنطوي على

(١) جويل كوبر وجوزيف جي أفري: السذاجة ونطاق الشرعية، ضمن كتاب: السذاجة وعلم النفس الاجتماعي، تحرير: جوزيف ب. فورجاس، وروي ف.بوميستر، ترجمة: محمد صلاح السيد، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ٢٠٢١م، ص ٤٨٠.

(٢) يُفَرّق لوبون بين نوعين من الهيبة، الأولى: الهيبة المكتسبة، وهي الأغلب والأكثر انتشارًا، فما إن يحتل فرد ما منصبًا معينًا أو يمتلك ثروة ما أو يتزيا ببعض الألقاب، حتى يصبح مكلّلًا بهالة الهيبة، أيًّا تكن قيمته الشخصية منعدمة أو منحطة. الثانية: الهيبة الشخصية، وهي مَلَكة مستقلة عن كل لقب أو سلطة، ولا يملكها إلا القليل، ويمارس أصحابها سحرًا مغناطيسيًّا حقيقيًّا على المحيطين بهم، ولا يمتلكها إلا طائفة نادرة من البشر. (انظر: جوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، السابق، ص: ١٣٦ – ١٣٨)

(٣) جوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، لندن، دار الساقي، ط١، ١٩٩١، ص: ١٣٦.

تقريظ واضح للذات، وغالبًا ما يتم تقريظ الذات بأن يعزو السياسي إلى نفسه صفات كحب الوطن والتضحية في سبيله، وحمايته والحرص على مصالحه، والمعرفة الكاملة بما يحتاجه والشعور العميق به، والسهر على خدمة أفراده، وتحمل المشاق والآلام والصعوبات في سبيله(١).

الثاني: صياغة خطاب نموذجي يرفع قدر كل ما هو شعبيّ، ويَتّسع لاحتواء آمال الجموع الشعبوية وتطلعاتها ورغباتها المحطمة، يزيل مخاوفهم ويزرع بداخلهم الأمل بغد مشرق، فيما يمكن أن نطلق عليه صناعة الأحلام، ولعل أبرزها في عالمنا العربي تلك الخطابات التي تحمل وعودًا اقتصاديّة بتحسين الأوضاع المعيشيَّة والقضاء على البطالة ، وزيادة النمو الاقتصادي، ووعودًا ثقافية تتعهد بدعم الهوية القومية والعقائد الدينيّة ومعادة الحداثة الغربية والعودة إلى الجذور الثقافية، واستلهام التاريخ التليد، ووعودًا سياسية تجزم بإعادة السلطات إلى جموع الشعب والانحياز الكامل إليها حال الخلاص من النخب الحاكمة، فالخطاب القومي الشعبوي "يقسم العالم إلى "نحن" و"هم"، "أصدقاء" و"أعداء"، ويضع الهوية المتجانسة والثابتة على جانبين، ويشدد على السمات والصفات التي تميز "نحن" من "هم" سياسيًّا بطريقتين اثنتين، أولا: يذكر أن لقيم الأمة الأولوية المطلقة، وأن الولاء للأمة يتجاوز أشكال الولاء الأخرى كلها فردية أو جماعية. ثانيًا: يقدم الأمة بوصفها المصدر النهائي للشرعية السياسية والاجتماعية، ومن ثَمَّ السيادة(٢)".

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق الجمهور، بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، دار العين للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص: ١٢٢- ١٢٩.

(٢) أوموت أوزكيريملي: نظريات القومية، مقدمة نقدية، ترجمة: معين الإمام، المركز العربي لأبحاث ودراسات السياسة، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ص ٣٦٧.

ويمكن التمثيل لتوظيف هذه الثنائية (نحن/ هم) لاستقطاب القطاع الشعبوي في الخطاب السياسي المصري. ولعل من أوضح الأمثلة في توظيف هذه الثنائية الخطاب السياسي الناصري، حيث انطوى خطاب جمال عبد الناصر (١٩١٨- ١٩٧٠م)، في كثير من الأحيان على ثنائية (نحن وهم)، حيث التمجيد لـ (نحن) -وهو الفريق الذي يضم جموع الجماهير تحت قيادة الزعيم-، ورمي (هم) -وهو الفريق الآخر الذي يضم غالبًا بقايا الأحزاب القديمة المنحلة، ومعارضي سياسات الزعيم- بالرَّجعية ومعاداة الشعب والموالاة لقوى الاستعمار، والوعد بالانتقام الماحق من هذه الفئات، وتخليص الشعب منهم(١).

الثالث: آلية التواصل والتكرار، وهي من أوضح الوسائل وأكثرها نجوعًا في التأثير على القطاع الشعبوي، ونعني بآلية التواصل الطريقة التي يصل بها الخطاب المشبع بأفكار ما إلى أفراد القطاع الشعبوي، وهي في الحقيقة طرق متنوعة منها المكتوب، ومنها الشفاهي الخطابي، ومنها المرئي، فقد تأتي آلية التواصل مكتوبة في شكل رسالة ثقافية موجهة عبر مطوية ورقيّة تتضمن بضعة أسطر، لا تحتاج إعمال فكر أو عصف ذهني لإدراك مضمونها، وغالبًا ما تصاغ بعبارات خطابية قصيرة عارية من التراكيب البلاغيّة، مشبعة بنبرة يقينية فيما يقدم حول الخصوم أو النخب، وأوضح مثال عندنا ما تمارسه الشعبوية الدينية **religious populism** ممثلة في بعض تيارتها في محاولتها تشويه أو خلخلة الصورة الذهنية

(١) انظر على سبيل المثال: جمال عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ١٩٧٣م.

لبعض المثقفين والتنويرين لدى هذا القطاع الشعبوي[١]، ومن أمثلة ذلك ما نشرته جريدة روز اليوسف في عددها الصادر في ١٩ يناير ٢٠١٦م، يتضمن محتوى بعض هذه المطويات، الذي كانت توزع على طلبة إحدى الجامعات، وقد جاء فيها:

«سعد زغلول يشرب الخمر ويلعب القمار»، «طه حسين طلب قلمًا أحمر لتصحيح القرآن»، «قاسم أمين عندما رأى عرى النساء في الشوارع قال لم أكن أطمع في أكثر من ذلك»، و«محمد عبد الوهاب كان يفخر بأنه حضر أول حفل للشواذ [٢]».

---

(١) من أشهر المواقف التي تُبَرْهن على ذلك في ١٩١٣م حين تقدم أحمد لطفي السيد (١٨٧٢ – ١٩٦٣) للانتخابات البرلمانية وهو أحد أبرز الوجوه الثقافية التنويرية، وأحد رجال الوطنية المصرية البارزين، وكان نجاحه فى هذه الانتخابات شبه محسوم، غير أن منافسه لم يعدم حيلة فدعا الفلاحين إلى اجتماع شعبي وسألهم مندهشًا: كيف تنتخبون رجلًا ديمقراطيًّا؟!، هل يُعْقَل أن تُعطوا أصواتكم لرجلٍ يُؤْمِن بالديمقراطية والعياذ بالله؟!

وراحوا يتساءلون عن معنى ديمقراطي، فقيل لهم: «معناها والعياذ بالله ملحد، كافر، لا يُـؤْمِن بالله»، وجاءت مناسبة سُئل فيها أحمد لطفي السيد هل أنت ديمقراطي؟ فابتسم وقال مزهوًّا: «نعم أنا ديمقراطي» فاكتست وجوه الحاضرين بالدهشة، وانفضوا من حوله، ثم أشيع عنه بعد ذلك بأنه فاسق، وكافر، وديوث، رغم أصله الطيب وعائلته الكريمة بالريف المصري، ومن ثَمَّ كان سقوطه في الانتخابات أمرًا طبيعيًّا. (لمزيد من التفاصيل: انظر: أحمد لطفي السيد، قصة حياتي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م، ص ٨٦. وأحمد زكريا الشلق: حزب الأمة ودور الأعيان والمثقفين في السياسة المصرية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٥م، ص: ٦٤– ٦٦)

ولعل هذا الموقف يكشف عن ضعف الكفاءة التواصليّة للنخبة المثقفة مع القطاع الشعبوي؛ ومن ثَمَّ تأثيرها فيه؛ نتيجة افتقاد آلية تواصل فعالة معهم تتخلص من المصطلحات الثقافية المجهولة بالنسبة لهم، وإقامة جسور لغوية بسيطة تضمن تصحيح المفاهيم ونشر الوعي.

(٢) يمكن الاطلاع على التحقيق كاملا عبر الرابط:

https://daily.rosaelyoussef.com/139024

ولعل المطوية على قصر عباراتها تحمل أخبارًا – وإن كانت تفتقد البراهين والأدلة – تستفز وجدان القطاع الشعبوي، وتشحذ نصال كراهيته وعداوته ضد هذه الشخصيات؛ لأن ما أُلْصِق بها يَمس، بل يطعن بشكل مباشر في الجوانب العقائدية والأخلاقية. ومن ثَمَّ فهي تدعو إلى إعادة تقييم هذه الشخصيات وفقًا للمعطيات المعرفية الجديدة، لا وفقًا للخطاب التاريخي المتداول أو الرّسمي، وهو ما يزعزع ثقة المتلقي فيما ألفه من معلومات حول هذه الشخصيات؛ ولذا يشيع في مثل هذه الخطابات أفعال الأمر التي تحث على التخلي عن الخطابين الرسميين التاريخي والإعلامي، وتبني خطابًا مغايرًا، حيث ختمت المطوية بالقول:

«انس ما تعلمته وابدأ فى إعادة تكوين معلوماتك من جديد، إن التاريخ مزور والإعلام مضلل، وحسبى الله ونعم الوكيل[١]».

ويلاحظ مايرز أن مثل هذه الخطابات لكي تُحْدث أثرها فإنها تعتمد على صياغة أخبار ذات حكايات شيقة ومثيرة، تملأ مخيلة المتلقي، وتستقر في ذهنه دفعة واحدة "وغالبًا ما تكون الأكاذيب مثيرة للمشاعر ودرامية وجديدة، وتصاغ في صورة تجعلها ذات أهمية إخباريّة[٢]". ولعل هذا ما أكده لوبون حين أشار إلى التأثير الواضح لتضخيم الجوانب المثيرة من الأحداث والتركيز عليها لدى الجماهير، "فالجوانب السحرية والأسطورية من الأحداث هي التي تدهش الجماهير دائماً وتؤثر فيها وليس الوقائع بحد ذاتها[٣]".

---

(١) راجع التحقيق كاملا عبر الرابط: https://daily.rosaelyoussef.com/139024

(٢) ديفيد ج. مايرز: علم النفس في مواجهة سذاجة ما بعد الحقيقة، ضمن كتاب: السذاجة وعلم النفس الاجتماعي، السابق، ص ١٤٤.

(٣) جوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، السابق، ص ٨٧.

وليست المطويات وحدها هي قنوات الاتصال مع القطاع الشعبوي، فهناك الرسائل الصوتيّة المسجلة عبر وسائل التواصل الاجتماعي بأنواعها، وهناك المقاطع المرئيّة والخطب الدينية المحملة بمضامين شعبوية مختلفة – كانت تصل إلى أيدي الناس من قبل عبر أشرطة الكاسيت وغيرها–، وهناك المقالات القصيرة التي تشتمل على بعض الفقرات والعبارات التي تُقْتَطع من سياقها وتوَجَّه بدلالات معينة ضد كاتب ما...إلخ، إذا أضفنا لهذا تواجد أفراد هذه التيارات بين أوساط العمال والطلاب والطبقات المهمشة أدركنا وعيهم بأساليب التواصل الخطابي مع هذه القطاعات الشعبوية والقدرة على التأثير فيها.

وينطوي الخطاب الشعبوي على بعض الظواهر من أهمها آلية التكرار، وهي آلية خطابية تروَّج بها وقائع ما بوصفها حقائق مسلّمًا بها، حيث يحمل الخطاب الدعاية لفكرة ما، يعاد توجيهها بأكثر من طريقة وفي مناسبات مختلفة؛ حتى تصير هذه الفكرة مع استمرار تكرارها أكثر قابلية للتصديق، وربما حلّت محل الحقائق المعقدة "إن مجرد تكرار عبارة لا يزيد من ألفتها لدينا، وتذكرنا لها فحسب، بل يعمل أيضًا على زيادة فرصتها في أن تنطلق على ألسنتنا، ومع هذه الطلاقة المتزايدة يأتي الشعور بالاتساق وزيادة المصداقيّة[١]".

ويمكن أن نقف من خلال ما سبق على تحديد القطاع الشعبوي من الوِجْهَة الثقافيّة:

(١) ديفيد ج. مايرز: علم النفس في مواجهة سذاجة ما بعد الحقيقة، ضمن كتاب: السذاجة وعلم النفس الاجتماعي، السابق، ص ١٤٤.

– هو ذلك القطاع المهمش من الشعب الذي يقع في قاع المجتمع غالبًا، واهتزت ثقة أفراده في النخب الحاكمة لأسباب اقتصاديَّة أو اجتماعيَّة.

– قابلية هذا القطاع للانقياد خلف جاذبية الفكرة، والانسياق وراءها حتى التماهي معها.

– مناهضة هذا القطاع لكل ما هو عقلاني أو مثقف، طالما يُسائل مسلماته ويوجّه إليها بؤرة النقد، أو يتعارض مع مصالحه.

– حساسيّة القطاع الشعبوي تجاه كل ما يمس الجانب الديني أو العقائدي؛ ومن ثَمَّ يؤثر فيه الخطاب ذو النزعة الدينية الذي يميل إلى الحجاج بالنصوص المقدسة وتوظيفها.

– من أكثر الخطابات قدرة على التأثير في هذا القطاع وتحريكه، هو الخطاب المستند إلى مستوى لغوي قريب من أفراد هذا القطاع، والمتحرر من المفردات والاصطلاحات الضخمة، الموشى بالطقوس الخطابيّة كالشعارات الرّنانة، والعبارات الحماسية المحملة بالرفض، واليقين القاطع في تحقيق الوعود.

**وجه التمايز بين ما هو شعبيّ وما هو شعبويّ:**

وعلى هذا يمكن التمييز بين مصطلحي الشَّعبيّ والشَّعبوي (بزيادة الواو في صيغة النسبة [١])، إذ يبدو لنا مصطلح شعبوي وصفًا يوظّف دلاليًّا في الحطّ من قيمة أفكار أو توجهات سياسية واقتصادية معينة، ويشير ثقافيًّا وأيديولوجيًّا إلى المحتوى الذي تنتجه الطبقات المهمشة أو الدنيا وتتداوله عبر الوسائط الرقمية المختلفة، وعادة ما ينظر إليه نظرة دونية تسمه بالسطحية والابتذال؛ ربما لفوضويته واصطدامه بالذوق السائد أو جرحه، وخروجه على التقاليد الجمالية والأعراف المجتمعية الموروثة، وإن كنا نرى في هذا المحتوى نوعًا من إعلان هذا الطبقات عن وجودها، وضربًا من الاحتجاج على إقصائها.

أما مصطلح شعبيّ فيحمل دلالة مغايرة؛ إذ يُنظر إليه ثقافيًّا على أنه جزء أصيل من العقل الجمعي لأمة ما، وما يصدر عن جموع الشعب من أقوال ومأثورات وسرديات جانب محوري من جوانب التعبير عن وجود الأمة وهويتها، ولا جدال فى أن هذا اللون فيه من عراقة الشعب وتلقائيته الظاهرة، كما أنه رافد من روافد إمدادها الوجداني ومكمن تطلعاتها وآمالها، "إنه ينتمي إلى الشعب وحده بما له من تراث وتقاليد وعادات. هذا الشعب الذي يتكوّن من أفراد تربط بينهم ربطًا قويًّا صفة الجماعية يستقبل تراثه بما فيه من عادات وتقاليد وأغنيات ورقصات وقصص، فيتسلمه كتلة واحدة،

(١) زيادة الواو هنا قد تكون ضرورة مانعة اللبس بين المصطلحين، وقد أجاز مجمع اللغة العربية في الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين، لفظ "تسبويّ" في النسب إلى نظرية النسبية على غير المقرر في قواعد النسب؛ حتى لا يختلط مع لفظ "تسبيّ" المنسوب إلى النسبة، كما أجاز كلمة "وحدويّ" في النسبة إلى الوحدة. (انظر: مجمع اللغة العربية، الألفاظ والأساليب، جـ٢، ص ٢٩٤).

ويحافظ عليه، ويعمل على إضافة الجديد إليه مما قد يكون له صدى للأحداث المعاصرة [١]".

وعلى هذا يمكن القول إن ما يصدر عن الشعبويّة لا يعدو كونه استجابة لحظية محددة بزمان ما وسياق اجتماعي وسياسي محدد أيضًا، ولا يرقى بأي حال من الأحوال إلى مرتبة التجارب الشعبية المختزنة في الضمير الجماعي collective conscience، وتمخض عنها تقاليد وأعراف تربط بين أفراد المجتمع وتوحد بينهم، بل تعمل أحيانًا على ضبط الأفعال أو تنظيم العلاقات بين الأنساق الاجتماعيّة المختلفة، تلك التجارب التي تحولت عبر أشكال التعبير الشعبي إلى عصارات من الحِكَمِ والأمثال والمرويّات والأقوال المأثورة التي يستدعيها أفراد الكتلة الشعبية وفقًا للمواقف المختلفة.

(١) نبيلة إبراهيم: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص١٤.

## إشكالية طه حسين مع القطاع الشعبوي:

شخصية طه حسين (١٨٨٩- ١٩٧٣م) متعددة الأوجه، فهو مفكر، ومؤرخ، وناقد، وقاص، وروائي، ومترجم، وعالم اجتماع، وأستاذ جامعي، وسياسي، وصحفي، وصاحب النظرية الجدلية في الثقافة والتعليم، "والغريب أن طه حسين رغم تعدد جوانبه، لا يطغى في حياته جانب على جانب. وحين نذكر نحن القراء طه حسين لا تتوارد إلى أذهاننا صورة معينة من حياته، هي صورة أشد وضوحًا من الأخرى، لا تطغى صورة القصّاص على صورة مؤرخ الأدب، ولا صورة مؤرخ الادب على صورة المؤرخ للحوادث، بل تتوارد الصورة كلها مرة واحدة؛ لتصنع شخصية طه حسين[١]".

وفي رحلته الثقافية جمع بين ثنائيات متنوعة، بل تبدو متضادة أحيانًا، إذ جمع بين التعليم الديني بالأزهر والتعليم المدني بالجامعة، النشأة الريفية في صعيد مصر والعيش والاستقرار في مدينة القاهرة، ثم الانطلاق إلى ميادين باريس وآفاقها، تشرُّب الثقافة العربية الأصولية، والفقهية، والنحوية، والأدبية، والارتشاف من ثقافة اليونان واللاتين والفرنسيين، الانتماء إلى الحضارة الشرقية والولع بالحضارة الغربية، التسليم المذعن للحضارة الأوربية والدعوة إلى الندية لها في آن[٢]. وكان لهذا التكوين أثره الواضح في تفكير طه حسين وأسلوبه في الكتابة وفي القضايا التي أثارها وعالجها بعد ذلك.

---

(١) صلاح عبد الصبور: ماذا يبقى منهم للتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة انظر: طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٤١، وما بعدها.

يضاف إلى هذا التكوين المتنوع المنابع المختلف المشارب طبيعة طه حسين نفسه المتمرد على السائد، المعتد بنفسه، الباحث عن المختلف، والمجادل العنيف، ولهذه الطبيعة أسبابها الموروثة ودوافعها الاجتماعية والسياسية والعلمية، وقد فُسِّرت من أكثر من منظور ووجهة، لكن الوجهة النفسيية كان لها النصيب الأوفى من الذيوع، حيث أرجع بعض المحللين النفسيين ثورة طه حسين الفكرية وصدامه المستمر مع المؤسسات الدينية والسياسية إلى حرمانه من البصر الذي دفعه إلى تعويض هذا الجانب بتحدي السائد والثورة عليه ومحاولة تغييره، يقول د.محمد عماد فضالي: "وربما أدى به هذا التعويض إلى بعض المبالغة في هذه الثورة التي اتخذت أحيانا حدودًا قصوى، رجع هو بنفسه عنها فيما بعد؛ ولذا فقد تكون كثرة معاركه الفكرية راجعة إلى طبيعة ثائرة على التقليد، تقويها ثقة في النفس اكتسبها من التعويض السليم، ولا يستغرب تحت هذه الظروف أن تؤدي إلى بعض المبالغة في اتخاذ المواقف واعتناق الآراء[١]"، ومهما يكن من تفسير وراء ثورة طه حسين وعواصفه الفكرية، فإن الحقيقة الماثلة أمامنا أنه كان يمثل منذ ظهوره[٢] إعصارًا فكريًّا عنيفًا، وحالة حادة من الجدل العنيف حول

(١) سامح كريم: طه حسين ومعاركه الأدبية والفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٧٠.

(٢) لم يكن كتاب "في الشعر الجاهلي" المحك الأول لآراء طه حسين الصادمة للرأي العام، فقد اختلف في مستهل حياته العلمية مع مشايخه بالأزهر، في الأعوام الستة التي قضاها به (١٩٠٢- ١٩٠٨م) وانتهى به الأمر ساخطا مستبعدًا من الأزهر، فهاجم شيوخَه هجومًا حادًّا في صحيفة الجريدة التي كان يصدرها أحمد لطفى السيد، لينتقل بعدها إلى الجامعة التي كانت أهلية آنذاك. ثم يعقب هذا أزمة كتاب "تجديد ذكرى أبي العلاء"، حيث تقدم أحد أعضاء الجمعية التشريعية بطعن في هذا الكتاب يتهم فيه طه حسين بالإلحاد، ويطالب بحرمانه من =

آرائه وموضوعاته التي يثيرها، بل حول كل مكان يذهب إليه؛ ولهذا ربما كان حالة فريدة من نوعها في الثقافة العربية المعاصرة "فهناك مفكر يصطدم بالمؤسسات الرسمية، ولكنه يستطيع أن يكسب عطف الرأي العام، وهناك مفكر يصطدم بالرأي العام ولكنه يستطيع أن يكسب تأييد المؤسسات الرسمية، لكن طه حسين اصطدم بالرأي العام، واصطدم برجال الدين، واصطدم برجال السياسة، وكانت حياته الفكرية صراعًا دائما متصل الحلقات[١]"؛ ولهذا لم يكن طه حسين محور اهتمام الأوساط الثقافية والأكاديمية فقط، لكنه صار محل اهتمام الأوساط السياسية والشعبوية أيضًا.

وقد كان يمكن لكثير من آراء طه حسين المثيرة للجدل أن تمر بشكل أكثر هدوءًا مما حدث لو أن طه حسين كان أستاذًا عاديًّا لا يتخطى أسوار الجامعة، ولا تربطه صلة مباشرة بالجماهير، لكن مشروعه متشعب في صحف ومجلات، وبرنامج إذاعيّة، وأحزاب سياسيّة؛ ومن ثَمَّ فإن خطابه الثقافي لم يكن قاصرًا على الأوساط الأكاديمية أو الثقافية فحسب، وإن كان

---

= حقوق الجامعيين، وبسحب شهادته وإجازاته العلمية، على الرغم من أن ذلك الكتاب أجازه ثلاثة من أئمة علماء الأزهر، لكن هذه الازمة أخمدها سعد زغلول في مهدها حين كان رئيسًا للجمعية التشريعيّة آنذاك، حيث استدعى صاحب الطلب، وأقنعه بسحب طلبه؛ لأنه يسيء للجامعة المصرية. وحينما اختاره الأحرار الدستوريين محررًا أدبيًّا لجريدة «السياسة» في عشرينيات القرن الماضي أحدثت مقالاته ردود فعل عنيفة؛ لاعتماده على كتاب «الأغاني» للأصفهاني، في تصوير الحياة العقلية فى الدولتين الأموية والعباسية. (انظر: خيري شلبي: طه حسين أمام النيابة، وثيقة أدبية عمرها ٤٤ سنة، مجلة الهلال، عدد يوليه، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٥٤، وما بعدها. وانظر أيضًا سامح كريم: طه حسين ومعاركه الأدبية والفكرية، السابق، ص ٢٥– ٤٧، ١٣٣ وما بعدها)

(١) رجاء النقاش: طه حسين في قفص الاتهام، مجلة الهلال، عدد مايو، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١٥٥، ١٥٦.

موجهًا إليهما بالضرورة، لكنه ممتد أيضًا إلى القطاع الجماهيري ومن ثَـمَّ فهو عُرْضَة لاستحسان هذا القطاع أو استهجانه.

وليس من المستبعد أن يكون أحد الأسباب المؤثرة في تفاقم أزمات طه حسين مع المجتمع هو امتداد أصداء آرائه المثيـرة للجـدل إلـى القطـاع الشعبوي بواسطة الخصوم –وبخاصة السياسيون وعلمـاء الـدين مـنهم– الذين نقلوا وقائع المعركة من ميدان الجدل الفكـري إلـى حومـة العنـف والاتهام عن طريق الاستقواء بهذا القطاع، وقد عبر طه حسين عـن هـذا بقوله: " وفي الحق إني أحاول أن أفهم كيف يستطيع الـدين أو العلـم أن يعتدي على الحرية العلمية أو الدينية إذا لم تمده السياسة بالذخائر والسلاح، فلا أجد إلى هذا الفهم سبيلا، تَصَوَّرْ بلدًا وقفت السياسة فيه موقف الحيـدة المطلقة بين العلم والدين فكفت أيدي الناس عن الناس، وأقرت الأمن فـي نصابه، وتركت للعلم حريته، وللدين حريته فما الذي يمكن أن يقع من العنف بين العلماء ورجال الدين؟ لا شيء إلا الخصـومة الكلاميـة، لا شـيء إلا المناقشة والجدل، ومن الذي يستطيع أن يـرى شـرًّا فـي المناقشـة أو الجدل؟![1]".

(١) طه حسين: من بعيد، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م، ص ٢٢٦.

وقد يكون رجال السياسية أحد أسباب إثارة القطاع الشعبوي ضد طه حسين[١]، فدخول طه حسين معترك السياسة ومشاركته في الحياة الحزبية كان له انعكاس في تنمية الصداقات والعداوات معا، وكان خليقا بأن يخلع عليه هالات المجد أو ينزعها عنه، فبعد أزمة كتاب "في الشعر الجاهلي"، عام ١٩٢٦م، وبعد أن خضع طه حسين للتحقيق في ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٦، وجاء قرار النيابة – برئاسة محمد نور رئيس نيابة مصر حينئذ– "بأن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدي على الدين، بل إن العبارات الماسة بالدين التي أوردها في بعض المواضع من كتابه إنما قد أوردها في سبيل البحث العلمي مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها[٢]"، لكن يُضاف إلى ذلك أيضًا حساسية القضايا التي أثارها طه حسين والآراء الجريئة التي أعلنها، والتي تمس بعض الجوانب الدينية بلا مواربة أو قناع، فالقطاع الشعبوي يقدس كل ما هو ديني من نصوص وشخصيات، ويقف أمامها وقفة

(١) يُذْكَرُ أن الحكومة كانت تحرك هذه القضية بين الحين والآخر في المجالس النيابية، إذا أظهر طه حسين وجه المعارضة في مقالاته، ففي أثناء وزارة إسماعيل صدقي انضم طه حسين لحزب الوفد، وكان إسماعيل صدقي قد عرض عليه رئاسة تحرير جريدة "الشعب" وهي الجريدة التي أنشأها صدقي لتكون اللسان الناطق لحكمه، وعقب رفضه حرّكت الحكومة القضية سنة ١٩٣٢م أي بعد ست سنوات من هدوئها، وأوحت إلى النائب عبد الحميد سعيد أن يقدم إلى مجلس النواب يتهم طه حسين في عقيدته الدينية، ويطلب فصله من كلية الآداب وعمادتها. (انظر: نص الاستجواب كاملا في كتاب نجاح عمر: طه حسين أيام ومعارك، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص ١٨٧، وما بعدها). وقد تكرر إثارة المجالس النيابية هذه القضية أيضًا عام ١٩٣٩م.

(٢) انظر: خيري شلبي: وثيقة النيابة في قضية كتاب في الشعر الجاهلي، مجلة الهلال، عدد يوليه، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٧٨.

إجلال، ولا يسمح لأحد مهما بلغ أن يشكك فيها أو يهز إيمانه بها، أو يتعامل معها كما يتعامل مع النصوص البشرية.

ولقد كان طه حسين على وعي كامل بحساسية هذه القضايا، وتأثيرها في نفوس هذا القطاع من الجماهير، يتجلى هذا في قوله: "إن الدين أقوى ما يمثل نفس السواد، فالسواد به كلف، وله محب، وعليه حريص، وعنه ذائد، يبذل في ذلك ما يستطيع من قوة وجهد. وقد قلت منذ حين إن حرص السواد على دينه لا يكلفه محاربة العلم والفلسفة وحدهما، وإنما يكلفه محاربة كل جديد من شأنه أن يمس الدين[1]"، وعلى الرغم من ذلك فقد مضى في الطريق نفسه لا يأبَه لردة فعل هذه الجماهير، أو لعله لم يتخيل أن ردة فعلها ستكون على هذه الدرجة من الحدة. ويمكننا أن نستعرض بعض نماذج منها:

١- مظاهرة خرجت في ٣١ من أكتوبر عام ١٩٢٦م يقودها بعض طلاب الأزهر قاصدين ساحة المسجد الحسيني وقت الاحتفال بمولده لاستنفار العامة من الناس، متهمين طه حسين بالإلحاد وهاتفين بسقوطه، وقد سجلت إحدى وثائق البوليس السياسي تفاصيل هذه المظاهرة فنصت على أنّه: "في الساعة ١١ بعد انتهاء الحصة الثانية وقف المدعو محمد محمد الأسمر، ومعه الشيخ الفقي والشيخ محمد محسن والي، وهم من طلبة السنة الرابعة قسم عالي الأزهر، وقال أولهم: سيروا بنا أيها الطلبة نحو المشهد الحسيني؛ لنعلم الرأي العام هناك غضبنا على الملحدين؛ لأن المولد يجمع كثيرًا من طبقات المصريين، فصفق له الحاضرون وحبذوا فكرته وخرجوا جميعًا قاصدين هذه الجهة، وعند خروجهم من باب الأزهر هتفوا قائلين: ليسقط طه حسين، ليسقط عبد العزيز فهمي، ليسقط البنداري، وما زالوا كذلك حتى

(١) طه حسين: من بعيد، السابق، ص ٢١٢.

وصلوا إلى سيدنا الحسين، وهناك اشترى بعضهم أعدادًا من مجلة السياسة، وهتفوا وهي في أيديهم بسقوط الجريدة، ثم مزَّق كل منهم جريدته[١]".

ولعل أهم ما تطرحه هذه الوثيقة محاولة أصحاب الاتجاه المحافظ ممثلين في طلبة الأزهر استقطاب العامة أو القطاع الشعبوي إليهم في هذه القضية، بل وإثارتهم وتحريضهم ضد طه حسين، وهو أمر سيتكرر بعد ذلك بصورة واضحة.

٢- كلف شيخ الأزهر ورئيس المعاهد الدينية لجنة من علماء الأزهر بالنظر في الكتاب ووضع تقرير عنه فقامت بذلك، وخلصت إلى أن "الكتاب كله مملوء بروح الإلحاد والزندقة، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مبثوثة فيه، لا يجوز بحال أن تُلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم، والموجب للخُلْف والشقاق في الأمة، وإثارة فتنة عنيفة دينية ضد دين الدولة ودين الأمة...الكتاب وضع في ظاهره لإنكاره الشعر الجاهلي، ولكن المتأمل قليلًا يجده دعامة من دعائم الكفر، ومعولًا لهدم الأديان، وكأنه ما وضع إلا ليأتي عليها من أصولها وبخاصة الدين الإسلامي، فإنه تذرع بهذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر قبل الإسلام مما يرجع إليه في فهم القرآن والحديث[٢]".

٣- ولم يقتصر الأمر على القاهرة فقط، وإنما امتد صداه إلى بعض الأقاليم المصرية الأخرى، إذ يتضح هذا في نص برقيّة بعث بها نحو ستة وعشرين شخصًا ريفيًّا أطلقوا على أنفسهم اسم "العلماء والأعيان والتجار"

(١) حول النص الكامل للوثيقة انظر: مجلة الهلال، عدد مايو، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١٥٧.

(٢) محمد رشيد رضا: الإلحاد في الجامعة المصريّة، مجلة المنار، ج٢، مجلد ٢٧، ص ١٢٨، ١٢٩.

إلى مجلس نواب الأمة في يناير عام ١٩٢٧م، ونصها: "إذا كذّبنا القرآن مرضاةً لطه حسين وصيانة للائتلاف، فلا غرابة في هدم الباقي من أحكام الدين وهي الأوقاف. كفى بلاء يا نواب الأمة المسلمة، هل ينوي لنا دين جديد قبل الإجهاز على ديننا القديم؟!. ويشاع أن المشاريع اللادينية أجمع ستنعقد في وزارة الائتلاف بإيعاز حزب وأعضاء حزب، كأن المراد أن نحارب حماية الله لا حماية الأعداء. فنستغيث بجلالة الملك وبالعلماء وبالأمة[١]".

وتكشف هذه البرقية عن ثقافة مرسليها التي ينبئ عنها ضعف أسلوبها التعبيري، وطريقتها في توجيه الاتهام، وميلها إلى الأحكام الجاهزة التي تطعن في عقيدة طه حسين ووطنيته، دون أن تشتمل على حجة واحدة، واستنفارها النواب والملك والعلماء ضد شخص يبدو أنهم لم يطلعوا على ما كتب.

٤- ويبدو أن السخط الجماهيري امتدّ بشكل ما إلى بعض العواصم العربية فقد انطلقت مظاهرة من دمشق، حين قرَّرت "عصبة العمل القومي في دمشق إحراق كتب طه حسين في ميدان عام في سبتمبر عام ١٩٣٣م؛ لأنه واحد من الذين يهونون أمر العرب ويصغرون من شأنهم، ويرفعون الصوت بالدعوة التي يكرهونها مرَّ الكراهية ألا وهي الفرعونيّة[٢]".

لكن الأمر هذه المرة لم يتوقف الاتهام عند حد معادة الدين وتكذيب القرآن، وإنما اصطبغ بمعادة العرب والتهوين من شأنهم والدعوة إلى كراهيتهم. وهو خيط سيعاد نسجه في السردية الشعبوية حول طه حسين فيما بعد.

---

(١) مجلة الهلال، القاهرة، عدد مايو، ١٩٧٧م، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م، ص ١٥.

## السرديّة الشعبويّة حول طه حسين:

لم تكن ضجة الصحافة والرأي العام حول كتاب "في الشعر الجاهلي" موجة عابرة اجتازها طه حسين وانقضت، لكن صداها ظل يتردد كلما دخل طه حسين معاركة فكرية، أو أثار كتاب من كتبه جدلا بين المثقفين، أو اختلف سياسيًّا أو إداريًّا مع بعض السياسيين، فقد ظل التلويح بهذه القضية من أسلحة ضغط الخصوم على طه حسين، فكان يُشَنُّ عليه في الصحف بين الحين والآخر هجوم بإيعاز من الحكومة[١]، ومن ذلك على سبيل المثال ما نُشِر في الأهرام بعد مرور نحو ست سنوات على هذه الضجة، في العدد الصادر في ١٧/ ٣/ ١٩٣٢م: "لقد قضت على بلادنا موجة من التقليد الغربي، موجة الخروج عن الدين والآداب، وقد قام بالتبشير بها جماعة لم يصل نور الإسلام إلى قلوبهم، وقد اشتهر الدكتور طه حسين في كتبه ومحاضراته بتلك النزعة اللادينيّة... إننا نشاهد رجلا عدوًّا للدين وتعاليمه، يشوّه كل ما هو منسوب إليه، ومن يتتبع سلسلة

(١) يَذْكر طه حسين أن من أسباب هذه الحملة حينئذ موقف له مع وزير المعارف حلمي عيسى باشا حين طلب منه بوصفه عميدًا لكلية الآداب منح الدكتوراه الفخرية لعدد من كبار الأعيان فرد عليه قائلا: "عميد كلية الآداب ليس عمدة تصدر إليه الأوامر من الوزير أنا لا أوافق على إعطاء الدكتوراه الفخرية لأحد لمجرد أنه من الأعيان، لا أوافق، ولا أستطيع أن أعرض هذا الأمر على مجلس كلية الآداب؛ لأن المجلس لن يوافق". (انظر: سامح كريم: طه حسين ومعاركه الأدبية والفكرية، السابق، ص ١٠٧). أما الوثائق البريطانية فتقدم لنا أسبابًا أخرى منها اعتراضه على خطاب وزير المعارف أمام الملك فؤاد عند زيارته للجامعة؛ لتوزيع الشهادات الجامعية على أصحابها في فبراير ١٩٣٢م "فقد جاء في خطاب وزير المعارف أن النية متجهة إلى منح عالم بلجيكي درجة فخريّة، دون أن يستشير المسؤولين في الجامعة، فاعترض طه حسين على ذلك مما أحدث حرجًا لوزير المعارف". ( إبراهيم الجميعي: طه حسين والجامعة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٤٩)

حياته العلمية يجده يذهب في كل مسألة تتعلق بالدين الإسلامي مذهب أعداء الدين وخصومه الألداء[١]".

وإذا كانت هذه الحملات السياسية الموجهة قد جذبت طرف الخيط فإن خصوم طه حسين، وبخاصة المحافظين منهم قد نَمّوا هذه السرديّة واستكملوا نسج خيوطها، ابتداء من اختيارهم عناوين مثيرة للمشاعر الدينية في الرد على كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" تشي بخروج صاحبها عن الدين وطعنه في القرآن الكريم، بل محاربته للدين ومحاولة تشكيك الناس فيه، مثل كتاب "نقض مطاعن في القرآن الكريم[٢]" للشيخ محمد أحمد عرفة (١٨٩٠- ١٩٧٣) ، ومقالات "الإلحاد في الجامعة المصرية[٣]"، و"كتاب في الشعر الجاهلي دعاية إلى الإلحاد والزندقة، وطعن في الإسلام[٤]" لمحمد رشيد رضا (١٨٦٥- ١٩٣٥م) ، و"تحت راية القرآن" لمصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ – ١٩٣٧م).

وقد وضعت هذه الكتابات البذور الأولى للسرديّة الشعبوية حول طه حسين، التي يبدو فيها طه حسين معولا لهدم الدين، بآرائه التي تبث الإلحاد في ثياب البحث العلمي؛ ومن ثَمَّ فهو أخطر على الإسلام من رجال التبشير. ولعل هذه الفقرة التي صاغها الشيخ محمد أحمد عرفة دالة على جانب من هذه السردية الثقافية التي تردد صداها بعد ذلك لدى القطاع الشعبوي:

---

(١) سامح كريم: طه حسين ومعاركه الأدبية والفكرية، السابق، ص ١٠٨.

(٢) انظر: محمد أحمد عرفة: نقض مطاعن في القرآن الكريم ، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٥١هـ.

(٣) انظر: مجلة المنار، ج٢، مجلد ٢٧، ص ١٢٨، وما بعدها.

(٤) انظر: مجلة المنار، ج٢، مجلد ٢٧، ص ٦٧٨، وما بعدها.

"لست أحمل الموجدة لرجال التبشير ما أحمله لهذا الناقد؛ لأنهم يبدون كما هم بلباسهم الكهنوتي، ويظهرون آراءهم على أنها آراء تبشيرية. أما هو فيخفي الإلحاد، ويظهر بلباس العالم، ويعرض أفكاره الإلحادية في ثوب العلم، ويظهرها كأنها آراء أنضجها البحث والتفكير(١)".

ولقد فتحت هذه السرديّة الآفاق للإضافة إليها وتهويلها، ليبدو فيها طه حسين أقرب إلى النموذج الشرير في الأدب الشعبي الذي يلصق به كل عيب وتنسب إليه كل نقيصة، ابتداء بخرق قوانين السماء، وانتهاء ببيع روحه للشيطان لقاء متع دنيوية زائله، فهو لم يكتف بتبني أفكار إلحادية فحسب، وإنما ارتدّ عن الإسلام واعتنق المسيحية في سبيل شهوة ذاتية(٢)، ومن ثَمَّ فعليه "أن يحدد موقفه دون لبس أو إبهام، فإذا كان الدكتور لا يزال مسيحيًّا منذ تعمده، ولا يزال أبناؤه مسيحيين بأسماء مسيحيّة، وأن ما يبدو منه أحيانًا من شكوك ونزوات لا تؤثر على مسيحيته فلن يعود بعد اليوم إلى الطعن في الأديان والغمز للعقائد، وإذا كان قد رأى بعد تعميده أن الدين المسيحي لا يتفق مع عقله الجبار فليترك التمسك بالتبشير والمبشرين، أما أن يظل موزعًا بين الإسلام والمسيحية مدعيًا الإسلام، أما أن يلعب في كل جهة ويعبث مع كل طائفة، فليس في هذا شيء من خلق الرجال(٣)".

---

(١) محمد أحمد عرفة: نقض مطاعن في القرآن الكريم ، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٥١هـ، ص ٨٢.

(٢) نقلا عن أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م، ص ٦٥. حيث أورد مقالًا نقله عن مجلة النهضة الفكرية بتاريخ (٧ نوفمبر ١٩٣٢م) ، ويبدو أن أنور الجندي يميل إلى هذا الاتهام ويؤكده دون أن يقدم أي دليل عليه سوى الأقاويل المتناثرة هنا وهناك.

(٣) السابق: ص ٦٥.

ليس هذا فحسب، بل إنه عاش طيلة حياته محاصرًا من زوجته المسيحيّة المتعصبة، تلك الزوجة (سوزان) التي كان عمها القس الماكر، قد أقنعها من الزواج من ذلك (الأجنبي، الأعمى، المسلم) بعد ما اشترطوا عليه ما اشترطوا، من الولاء للمسيحيّة والفكر الغربي والعداء لكل ما هو إسلامي، "وظلت سوزان تمسك بطرفه طوال حياة الرجل، في الداخل والخارج، في إصرار واضح وعجيب؛ لكي تجتاله من لغته وأهله وحضارته ودينه، إلى لغتها وأهلها وحضارتها ودينها، وفق مشروطية عمها القس العتيد[١]".

لقد نمت هذه الصورة حتى ألصقت بطه حسين كل أوجه الخيانة، فهو يوالي الصهيونية ويناصرها ويعمل لحسابها[٢]، وهو منفذ خطة اليهود في هدم الثواب العربية والإسلامية[٣] حتى تغرق شخصيتنا القوميّة وتضمحل.

---

(١) محمود خليل: كيف انقلب طه حسين من النقيض إلى النقيض؟ وما أبعاد المؤامرة؟، مجلة المجتمع الكويتية، العدد (٢١٧١)، سبتمبر ٢٠٢٢م، ص ٤٥.

(٢) من الذين ألصقوا هذا الاتهام بطه حسين إسماعيل مظهر في مقال له نشره في مجلة "المقتطف" عدد فبراير عام ١٩٤٧م، لعلاقة طه حسين بشركة الكاتب المصري. انظر المقال كاملا في ملحق كتاب حلمي النمنم: طه حسين والصهيونية، سلسلة كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، ص ٢٢٣- ٢٢٦.

(٣) مما يؤسف له حقًّا أن هذا الاتهام البشع أُلْصِق بطه حسين لأسباب واهية تفتقد إلى البرهان والصحة، منها إشرافه على دار الكاتب المصري ورئاسته تحرير مجلة الكاتب المصري الصادرة عن الدار نفسها، وهي دار يمتلكها أربعة إخوة من يهود مصر الميسورين لهم اهتمامات ثقافية. ومنها أيضًا أنه ألقى محاضرة في مدرسة يهودية بالإسكندرية عام ١٩٤٤م بوصفه مراقب بالثقافة بوزارة المعارف تعرض فيها لعلاقة اليهود بالأدب العربي منذ الجاهلية، ثم تحدث عن انتشارهم في إسبانيا وشمال إفريقيا، وكيف نافسوا العرب أنفسهم في أكثر من منصب رفيع من مناصب الدولة، فقوبل كلامه بالتصفيق، وأنشأ المجلس الملي اليهودي جائزتين باسم طه حسين يمنحان تمنحان لألمع طالبين بالمدرسة". والحق ليس في هذا الكلام ما ينال من طه حسين أو يسيء إليه. يضاف إلى ذلك إشرافه على طالب يهودي هو "إسرائيل ولفنسون" في رسالته للدكتوراه عن اليهود في جزيرة العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. لمزيد من التفاصيل انظر حلمي النمنم: طه حسين والصهيونية، سلسلة كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، د.ت، ص ٩٧ وما بعدها.

وتظل هذه الصورة في التضخيم حتى بلغ الأمر إلى محاسبة طه حسين على ما لم يكتب أو يقول، وتأويل ذلك بما يؤكد خيانتـــه أو ولاءه للصـــهيونيّة، يتجلى هذا في قولهم: "فإذا أضفنا إليها أن طه حسين في حياته كلها وحتـــى مماته، وقد شهد قيام إسرائيل وما بعده، لم يكتب مقالا واحدًا عن فلســطين لم نعجب، ولم نشك في صحة اتجاهه [١]".

ولعل مصطفى صادق الرافعي واحد من المثقفين الذين كرســوا لهــذه الصورة السلبية التي شوهت طه حسين لدى القطاع الشعبوي عبر مقالاتــه العنيفة التي شنها على طه حسين[٢]، وهو ما يلمح إليه كاتب سيرة الرافعي وصديقه المقرب محمد سعيد العريان[٣] (١٩٠٥- ١٩٦٤م) بقوله "وترادفتْ مقالاته ثائرة مهتاجة تفور بالغيظ وبالحميَّة الدينيــة وبالعصــبية للإســلام والعرب، كأن فيها معنى الدم! ونسي في هذه المقالات كلَّ اعتبار مما تقوم به الصِّلات بين الناس، فما كان يكتب نقدًا في الأدب، بل يصبُّ لهيبًا وحممًا وقذائف لا تُبقي على شيء، وكان ميدانه في جريدة كوكب الشرق، وكوكب الشرق يومئذٍ هي جريدة الأمة وجريدة سعد، وجريدة الشرق العربي كلــه؛ فمن ذلك لم يبقَ في مصر قارئ ولا كاتب إلا صار له رأي في طه حســين وفي دينه، وإن للأمة من قبلُ رأيًا في وطنيته ومذهبه، وحسبك بهــا مــن وطنية في رأي الشعب، وطه حسين هو عدوُّ سعد! [٤]".

---

(١) أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، السابق: ص ١٣٢.

(٢) جمع الرافعي هذه المقالات وأضاف إليها كل ما كتبه شكيب أرسلان ومحمــد رشــيد رضــا وغيرهما وضم إليها وثيقة لجنة الأزهر ووقائع جلسة البرلمان حــول كتــاب "فــي الشــعر الجاهلي" في كتاب أسماه: "تحت راية القرآن".

(٣) حول علاقة محمد سعيد العريان بالرافعي انظر: محمد سعيد عريان: حياة الرافعي، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٠م، ص ١١.

(٤) محمد سعيد عريان: حياة الرافعي، السابق ص ١١٥.

وتكشف القراءة الفاحصة لكتاب الرافعي صحة ملاحظة العريان أنه لم يكن يكتب نقدًا في الأدب، بل يصبُّ لهيبًا وحممًا وقذائف، حيث يتبدّى هذا في عنفه اللفظي عند حكمه على طه حسين، وحشده النصوص الدينيّة في أثناء كلامه بشكل مبالغ فيه؛ بغية إسباغ طابع القداسة على أحكامه بما يقطع الطريق أمام المدافعين أو المعارضين، ومن أمثلة ذلك:

"إن طه حسين هذا مجموعة أخلاق مضطربة وأفكار متناقضة وطباع زائغة، وما من عالم في الأرض إلا وأنت واجد آراءه قائمة بمجموع أخلاقه أكثر مما هي آتية من صفاته العقلية؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كلُّ منافق عليم اللسان»، وطه رجل أرسلوا لسانه وقلبه إلى أوربا، فرجع بلسانه وترك قلبه هناك في خرائب روما، فيجب أن يكون نفاقه وثرثرته مقصورين على نفسه، ويجب أن تحمي الجامعة طلبتها منه، ويجب أن ينهض علماؤنا في إلزام هذه الجامعة أن تعلن براءتها من آراء أستاذها؛ حتى لا يزيغ به أحد[1]".

على أن أخطر ما في كلام الرافعي نبرة التحريض الواضحة التي تستنفر الجميع لوقف طه حسين عن الكلام، وتستنفر الجامعة لمنع طلابها من محاضرات طه حسين، وتسنفر الأساتذة لمعاداة الجامعة التي تشمله برعايتها، وهو ما يؤكد "معنى الدم" الذي وصف به العريان تلك المقالات. أما التأثير الأكبر لهذه الأحكام ذات النبرة التحريضية فكانت على القطاع الشعبوي الذي أقبل على هذه المقالات مدفوعًا بظلال الترويج السياسي

(١) مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ١٣٨.

والديني لها[١]؛ ومن ثَمَّ كان لها أثر بالغ في تكريس الصورة السلبية لطه حسين، لا سيما وأنها –وفقًا للعريان–" قد بعثتْ روحًا دينية كانت راقدة، وأذكت حميَّة كانت خامدة، وألَّفتْ قلوبًا إلى قلوب كانت متنافرة، ونبهت طوائف من عباد الله كانت أشتاتًا لتعمل للذَّوْد عن دين الله[٢]"، ولا يستبعد أن تكون هذه هي البدايات الأولى لتشكيل الصورة السلبية للمثقف أو المبدع المعادي للدين الساعي إلى التشكيك في ثوابته وتقويضها لدى القطاع الشعبوي بشكل عام، وهو الأمر الذي كانت له نتيجته القاسية على الثقافة العربية، ولربما كانت سببًا في الهجوم الدموي على بعض المبدعين والمفكرين فيما بعد.

ويمكن نخلص من هذا إلى عوامل ترسيخ هذه السرديّة لدى القطاع الشعبوي:

١- الإلحاح على الفكرة والتكرار في الصحف والمنابر الإعلامية المختلفة، على مدار سنوات عدة من ١٩٢٦ حتى اسقالته من الجامعة لمرضه عام ١٩٦٢م.

٢- ترديد هذه الاتهامات بواسطة أفراد لهم رصيد شعوري لدى القطاع الشعبوي مثل مشايخ الأزهر والكتاب المحافظين أمثال محمد رشيد رضا ومصطفى صادق الرافعي وغيرهما؛ الأمر الذي جعل تلقي القطاع الشعبوي هذه المعلومات من ألسنة تلك الشخصيات ذات التوجه الديني المحافظ بمثابة اليقين الذي لا يقبل التشكيك فيه.

---

(١) انظر تعليق محمد سعيد عريان: في قوله: "ومضى الرافعي في حملته تؤيده كل القوى وتشدُّ أزره كل السلطات". راجع: حياة الرافعي، السابق ص ١١٦.

(٢) محمد سعيد عريان: حياة الرافعي، السابق ص ١١٧.

٣- آراء طه حسين نفسه كان لها دور في ترسيخ تلك الصورة السلبية لدى القطاع الشعبوي، وبخاصة تلك التي نادى بها في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"، ودعا فيه إلى مسايرة الأوربيين في حياتهم وتشريعاتهم؛ لأن العقل المصري – كما يراه- أقرب في تكوينه إلى دول حوض البحر الأبيض المتوسط وليس عقلا شرقيًّا، وهاجم فيه بعض المؤسسات التعليمية الراسخة في الوجدان العربي والإسلامي كالأزهر، حيث اشتمل الكتاب على عبارات أحيت أزمة الشعر الجاهلي مرّة أخرى(١).

(١) من أبرز هذه العبارات قوله: "وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسًا للوحدة السياسية، ولا قوامًا لتكوين الدول". طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ١٩.

وقوله: "وما أظن أحدًا يُجادل في أن المسلمين أقاموا سياستهم على المنافع العملية، وعدلوا عن إقامتها على الوحدة الدينية واللغوية والجنسية أيضًا" (مستقبل الثقافة في مصر: ص: ٢٠).

وقوله: "السياسة شيء والدين شيءٌ آخر". (مستقبل الثقافة في مصر: ص: ٢١).

وقوله: "رضاء مصر عن السلطان العربي بعد الفتح لم يبرأ من السخط، ولم يخلص من المقاومة والثورة، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة في ظل ابن طولون". (مستقبل الثقافة في مصر: ص٢١).

## الوسائط الرقميّة وإعادة استنساخ الصورة:

تختلف صورة طه حسين في السرديّة الثقافيّة المعتمدة أو الرسميّة اختلافًا كليًّا عن تلك الصورة التي تشكلت عبر سرديّة ثقافيّة موازية تلصق بطه حسين كثيرًا من المثالب والآثام، إذ يبدو طه حسين في الخطاب الثقافي المعتمد بطلًا ثقافيًّا وربما أسطوريًّا، قهر ظروفه الصعبة، وشق لنفسه طريقًا في العلم والمعرفة لم يُسبق إليه، حتى كتاباته التي أثارت الجدل كانت محرِّضًا للعقليّة العربية على التفكير، ودافعًا لكل من يدرس الأدب العربي إلى ضرورة تحرّي نسبة النصوص إلى أصحابها. أما ترجماته وأبحاثه الأدبيّة فقد كانت الجسر الذى حقق التواصل بين الثقافة العربية القديمة والحديثة من ناحية وربط بينهما وبين الثقافة الأوروبية والفرنسية من ناحية أخرى. أما أسلوبه في الكتابة الإبداعيّة وملكته اللغوية فيرتفعان به إلى الآفاق؛ ولذا تُدرّس سيرته "الأيام" في المرحلة الثانويّة بوصفه نموذجًا إنسانيًّا للتحدي والتغلب على العقبات، وبوصف سيرته درة من درر النثر العربي الحديث.

وإذا كان الأمر كذلك فلنا أن نتساءل الآن: إلى أي حد أثرت تلك السردية الرسميّة في رسم صورة طه حسين الثقافية لدى القطاع الشعبوي؟! وما مدى شيوع هذه الصورة في مقابل الصورة الموازية أو المهمشة؟

ففي ظل ما يعيشه العالم من تكنولوجيا أتاحت عبر الوسائط الرقمية المختلفة ووسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة نوافذ للطبقات الشعبويّة للتعبير عن نفسها، فزادت مساحة "من لا صوت لهم" voiceless –وهم الأفراد المهمشون الذين لم يكن لديهم المساحة للتعبير عن آرائهم أو حتى استطلاعها– في الإدلاء برأيهم فيما يطرح من خطابات مختلفة، منها

الخطاب الثقافي، ومن ثَمَّ يمكننا أخذ نماذج من تفاعل هذا القطاع وتعليقه على ما يُطرح عبر هذه الوسائط من خطاب ثقافي حول طه حسين؛ لنرصد مدى استجابتهم الثقافية للسرديّة الثقافية الرسميّة حوله.

وقد وقع الاختيار على صفحة "عربي +AJ"، وهي صفحة عامة على موقع التواصل الاجتماعي تابعة لشركة أخبار/ وسائل إعلام Al Jazeera Media Network، تضم ١٣ مليون متابع. وقد وقع الاختيار عليها؛ لأنها أولًا: صفحة عامة تنشر موضوعات مكتوبة، وصورًا ومقاطع مصورة اجتماعيّة وسياسية ورياضية وتاريخيّة وثقافية، ومن ثَمَّ فإن زوارها أو متابعيها أطياف مختلفة وليسوا من الشرائح المثقفة وحدها، ثانيًا: متابعو هذه الصفحة ليسوا من المصريين فقط، لكنها تضم تنوعًا من الشعوب العربية؛ وهذا يتيح لنا استجلاء الصورة في أكثر من مجتمع عربي. ثالثًا: أغلب منشوراتها الثقافيّة قصيرة لا تتجاوز ٦٠ كلمة تقريبًا، وهو ما يجذب القطاع الشعبوي الذي لا يميل بطبيعته إلى المقالات التحليلية الطويلة. رابعًا: منشورها حول طه حسين رفع بتاريخ (٢٨ أكتوبر ٢٠٢٠م) الأمر الذي يعني أنه أخذ وقتًا كافيًا من العرض والقراءة والتفاعل الحي معه.

وقد جاء المنشورpost متضمنًا السردية الرسمية حول طه حسين بإيجاز شديد يصل إلى خمسين كلمة، وبعبارة واضحة على النحو الآتي:

"فقد بصره بعمر السابعة، فارتبط اسمه بعد ذلك بالكفـــاح والمثـــابرة، وطوال حياته كانت آراؤه وكتاباته مثارًا للجدل..

الأديب المصري طه حسين رحل في مثل هذا اليوم تاركًا خلفه تراثـــا معرفيا هائلا من الأدب والنقد والسيرة الشخصية ورواية التاريخ وعشـــرات المقالات السياسية..

هل قرأتم له من قبل؟ (١)".

والمنشور على قصره يجسد السرديّة الرسميّة حول طه حسين، وقـــد سُجِّل عليه ٢٢١ تعليقًا، بعضها تعليق مباشر على المنشور، وبعضها تعليق على تعليق سابق. ويلاحظ أن كثيرًا من هذه التعليقات جاء متضـــمنًا نقـــدًا لاذعًا لهذه السرديّة، ومُكرّسًا السرديّة الشـــعبويّة المضـــادّة وداعَمًـــا لهـــا ومؤيّدًا، كما في نماذج من التعليقات على النحو الآتي:

من مقولات هذا الكاتب قوله .اعطني قلم احمر كي اصحيحا الأغلاط في القران الكريم

(١) https://www.facebook.com/ajplusarabi/posts/3827794493930734

شيخ الأزهر محمد الخضر حسين إبن تونس (رد عليه وعلي إلحاده وعلي سقطاته وعلي فرنسا بنت الصليبيه والتي علمته العلمانيه الساقطه) إقرأوا إذا شئتم تلك الردود لتعلموا كيف لهذا المنحط أن يكون عميدا للأدب العربي حصنوا أنفسكم لتعرفوا حقيقة الأشخاص

هاذ اللي ناقص علينا طه حسين اللي كان يمجد العلمانية ويحث على افكار منحطة ومنافيه للعقيدة ، والله زمن ...

هو من قال أعطوني قلم احمر للاصحح القرآن

أعمى البصر أعمى البصيرة

لا بعرف بالعربي اشي
مجرد مستشرق هامل صلاخي

اخذ اللقب من فرنسا مو من اي جهة عربية طعن بالقرآن والسنة و كان في عصره من كبار المشجعين للعلمانية الغربية يلي أبعدت الشباب العربي عن المساجد ودور العلم وحلقات الكتاب ... ربما يستحق لقب أكبر خنزير في عصره لأن كان من أشد المحاربين للدين والسنة النبوية الشريفة

هذا شارك في افتتاح الجامعة العبرية على اراض القدس

شخص مقزز لا يفقه من الادب شيء
كل مافي الامر ان الدعاية الصهيونيةدعمته بسبب تشويهه للعروبة وللاسلام

الحمد لله أنه فقد بصره

لانه لو كان مبصر كان صحح القرآن

نعوذ بالله من الضلال

قناة الجزيرة بلس قناة مشبوهه تروج الإلحاد

الرافعي يستحق لقب عميد الادب العربي ،، وربما يضع طه حسين في جيبه الصغير.

قصدك المستشرق

قرأت بعض أفكاره الغبية.

اعمى البصر محارب الاسلام عدو القرآن .اداة الغرب في اختراق المسلمين واول من شكك بالقرآن والسنة عليه من الله مايستحق

تمجيد هؤلاء الاشخاص هو ما حط من قيمة الادب العربي... من المؤسف فعلا ان يتم ذكر هذا الدجال على انه عميد الادب العربي !!

مجرد بعض العاهات التي لمعها الغرب وصدرها لنا !

والبعض يردد وفقط

دخل طه حسين امتحان العالمية في الأزهر أمام لجنة من الممتحنين وفشل في أول فرع في علم الأصول فخرج منهم وألف كتاب (ساعة في الضحى بين العمائم واللحى) سب فيه لجنة الممتحنين ومن يومها ترك العلم الشرعي وكفر بالدين والملة واتجه للفلسفة والمدارس الغربية في النقد الأدبي وحصل على منحة لدراسة الدكتوراه في السوربون.

قرأت طبعا قصيدة كنت أعبد الشيطان

قرأت له قليلا ..
متأثر بعلمانية فرنسا ..
كما صفحتكم مسوقة لخوارج العصر الحديث .

يا عم اقعد راجل في طريقه للألحاد
ازاي عايز الراجل ده قدوه

كل من يدافع عن هذا الشخص جاهل جهول
اعمي البصر والبصيرة مثل طة حسين
امثالة وامثال أحمد عرابي وسعد زغلول تم تمجيدهم لما قــدموه مــن فلسفة فرنسية وعلمانية سيطرت على عقول الناس وقتها
لا رحمة على من باع وطنة تحت مسمي الانفتاح
وبعدين يروح فين طة حسين قصاد الرفاعي

من اوضح علامات فشله انه لم يستطع ان يحصل على الدكتوراة فــي اللغة العربية من بلاد العرب و لا من قلعة اللغة العربية و منارة الاسلام في العالم كله #الازهر_الشريف فذهب ليحصل عليها من جامعات فرنسا فعاد بها و بسموم المستشرقين و اعداء الاسلام مثله كمثل رفاعة الطهطاوي و قاسم امين و هدى شعراوي و غيرهم ممن اتخذهم الغرب وسيلة للتسلل الى ثقافة امتنا و طمس هويتنا الاسلامية

الوحيد الي لازم يكون عميد الأدب العربي (مصطفى صادق الرافعــي) رحمه الله بسوى مليون واحد من أمثال طه حسين

عدو الله ورسوله عليه من الله ما يستحق

وقد اكتفينا بهذه التعليقات؛ لأن أغلب التعليقات الأخرى تحمل المعنى نفسه، وتوجّه الرسالة ذاتها. وتكشف لنا القراءة الفاحصة لهذه التعليقات عن النقاط الآتية:

أ- إن استعراض هذه التعليقات يكشف لنا الخلفية الثقافية لأصحابها من خلال ضعف الأداء اللغوي واضطراب العبارة، وشيوع الأخطاء الإملائية والتركيبية الشديدة الفجاجة، والجنوح إلى العاميّة المحليّة؛ الأمر الذي يدل على تدني المستوي الثقافي لهذا القطاع في المجتمع العربي.

ب- يعكس تنوع لهجات التعليقات تنوع الفضاءات الجغرافية والثقافية التي ينتمي أصحابها إليها.

ج- هذه التعليقات في جوهرها استنساخ حرفي للسرديّة السلبيّة التي وضع بذورها الأولى خصوم طه حسين من السياسيين والمثقفين.

د- يبدو جليًّا تأثير الشعبويّة الدينية في هذا القطاع، حيث ركَّزَت هذه التعليقات على اتهام طه حسين في عقيدته ورميه بالكفر والإلحاد، وفي الطعن في وطنيته أيضًا، ووصفه بأنه صناعة غربية أرسل إلى العرب ليشككهم في دينهم وتراثهم، دون مراجعة أو قراءة لأعماله، حتى أن بعضهم اعترف صراحة بأنه لم يقرأ مؤلفاته، وبعض التعليقات نسبت إلى طه حسين ما لم يقله فنسبت إليه أنه نظم قصيدة بعنوان: "كنت أعبد الشيطان".

ه- محاولة بعض هذه التعليقات سلب طه حسين من ألقابه الثقافيّة (مثل لقبه بعميد الأدب العربي) ومنحها لخصومه من المحافظين من أمثال الرافعي، بل واتجاه بعض التعليقات إلى النيل من مثقفين تنويرين آخرين مثل قاسم أمين وهدى شعراوي؛ مما يؤكد تأثير الشعبوية الدينية فيهم.

و- يبدو العنف اللغوي سمة أساسيّة من سمات هذه التعليقات، حيث احتوت على هجاء لاذع وأحكام متطرفة (مثل وصفه بصفات مثل: المنحط، الخنزير، جاهل جهول، الدّجال، عاهة من العاهات، أعمى البصر والبصيرة، عدو الله ورسوله...إلخ) وهو ما يعنى تبني هذا القطاع لثقافة العنف ضد من يُخالف الثابت أو المستقر في وعيهم، وبخاصة القضايا التي له صلة ما بالدين أو التراث.

أما التعليقات المدافعة عن طه حسين وسط هذا الركام فلا تتعدى ٨ ثمانية تعليقات من مجموع ٢٢١ تعليقًا دُوّن على هذا المنشور بنسبة لا تتعدى ٣,٦١%؛ مما يشير إلى غلبة التصور الشعبوي المضاد لطه حسين، لكن أغلب هذه التعليقات أيضًا اتسمت بالسطحية في الرد واكتفت بالدعاء بالرحمة، أو ذكر بعض نماذج من كتاباته أو تذكّر عمل له كان ضمن مقررات الدراسة في إحدى مراحل التعليم، وكذلك اتَّسمت هذه التعليقات أيضًا بالضعف اللغوي والأخطاء الواضحة والجنوح إلى العاميّة في التعبير؛ مما يجعلها مؤشرًا دالًّا على الخلفية الثقافيّة المتواضعة لكاتبيها. من هذه التعليقات:

| |
|---|
| الله يرحمه ارقى كاتب واديب |
| طه حسين رجل متنور وقد وضع يده على المرض العربي بشكل واضح ودقيق وأفضل ما كتب المعذبون في الأرض |
| الأيام كانت ضمن المقرر للصف الثالث اعدادي في مدارس السودان |
| قرأت له العديد من الكتب، تحليله ورؤيته الثاقبة للأحداث ملفتة للنظر فعلاً |

غير أننا لن نعدم بعض التعليقات الناضجة أحياناً التي عصفت أبحاث طه حسين بالحياديّة والتناول العلمي الجاد، كما في هذا التعليق:

| |
|---|
| الاسلامويون يكرهون كل من يحاول تنويرهم وتصحيح مسارات التراث المليء بالدس..طه حسين تعامل مع التاريخ والادب الجاهلي بحياديه الباحث عن الحقيقه وليس بنظرة مؤدلجه من الاساس لا ترى الا ما يطيب لها ..رحم الله طه حسين . |

ومما يلفت النظر أن بعض التعليقات المدافعة عن طه حسين، وذكرت نماذج من أعماله قوبلت بردود عنيفة ممن تبنى المنظور الآخر، حيث كتب أحدهم هذا التعليق:

| |
|---|
| على هامش السيرة<br>ألوان<br>الشعر الجاهلي<br>مع المتنبي<br>كل مرة بخليني أسأل حالي ليش لهالدرجة مغيب ومظلوم |

وجاء الرد على هذا النحو:

| |
|---|
| ليس بمغيب ولكنه بلا قيمه ادبيه |

ثم كتب المدون نفسه تعليقًا على تعليقه:

| |
|---|
| هذا رأى النقاد وللاستاذ انور الجندي كتاب اسمه اكذوبتان فى تاريخ الادب المعاصر وللاستاذ محمود محمد شاكر بينى وبين طه والازهر حكم بردته عن الاسلام مرتين مره عن كتاب مستقبل الثقافة في مصر |

وهكذا نجد أنفسنا أمام نمطين من التعليقات الأول: وهو الأكثر يتبنى سرديّة ثقافية تعيش في الهامش الثقافي ويدافع عنها ويسفِّه من يخالفها،

ويتَهمه بالغفلة والتبعيّة وهي السرديّة التي وضع بذورها الأولى خصوم طه حسين من السياسيين ورجال الدين وقطاع من المثقفين، والآخر: وهو الأقل بين القطاع الشعبوي من يتبنى السرديّة الثقافيّة المعتمدة أو الرسميّة؛ لكنه أيضًا لم يقرأ إنتاج طه حسين العلمي والثقافي كما ينبغي، وتلقى سرديّته عن طه حسين من بعض الأحكام التي تبناها بعض رجال الدين والثقافة وظل صداها يتردد منذ كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" إلى الآن، أو عبر ما ترسب في ذهنه منذ أيام الطلب الأولى.

**وأخيراً** فإن هذه النماذج وغيرها كثير[1] من التعليقات تكشف لنا عن جانب من خصائص القطاع الشعبوي في التعاطي مع القضايا الثقافية، منها:

– الميل إلى المحتوى الذي يتضمن مقاطع مرئيّة "فيديو"، أو صورًا، ومقالات قصيرة أو شديدة القصر أكثر من مطالعة المنشورات ذات الطبيعة المقالية التحليلية؛ الأمر الذي يشير إلى ابتعاد هذا القطاع عن عملية القراءة، وهي العملية التي تعطي فرصة للتفكر وإعمال التفكير فيما يطرح.

– انحياز هذا القطاع إلى وجهة نظر رجال الدين من المحافظين والسلفيين في كثير من القضايا الثقافيّة، ودفاعه عنها بشكل عنيف؛ انطلاقًا من كونهم الفئة المدافعة عن الدين الذائدة عن حياضه.

– امتلاك التيار الديني السّلفيّ في العالم العربي نوعًا من الكفاءة التواصلية مع القطاع الشعبوي عبر آلية التواصل والتكرار، وهي في الحقيقة طرق متنوعة في توجيه رسائله الثقافيّة أو غير الثقافيّة منها

(١) لقد اكتفينا بالنموذج الذي أوردناه في ، ويمكننا أن نطالع انحياز القطاع الشعبوي للسرديّة المهمشة لطه حسين عبر صفحات ومواقع مثل ما دون حول المقطع المرئي الآتي:
https://fb.watch/otzyvN85qX/?mibextid=Nif5oz

المكتوب، ومنها الشفاهي الخطابي، ومنها المرئي، وغالبًا ما تصاغ بعبارات خطابية قصيرة عارية من التراكيب البلاغيّة، مشبعة بنبرة يقينية فيما يقدم حول الخصوم أو النخب، ولا تحتاج إعمال فكر أو عصف ذهني لإدراك مضمونها.

– وفي المقابل ضعف الكفاءة التواصليّة للخطاب الثقافي الرسمي في توصيل رسائله إلى هذا القطاع؛ إذ إن أغلبها ترسل في كُتبٍ أو تصاغ في مقالات طويلة مثقلة بالمصطلحات الضخمة، أو عبر البرامج الثقافيّة التلفزيونيّة أو الإذاعيّة أو مؤتمرات الوزارات المعنية بالثقافة التي لا يلتفت إليها إلا المثقفون أنفسهم؛ ولذا فإن هذا الخطاب في حاجة ماسّة إلى تعير إستراتيجيّته التواصليّة للتأثير في القطاع الشعبويّ، قد يكون هذا عبر المسلسلات التمثيلية أو المسرحيات ذات المضمون الثقافي، أو السينما...إلخ.

– إن السرديّات الثقافيّة حول المثقفين والتنويريّين والمبدعين العرب التي تنمو وتتضخم في الهامش هي الدافع الأكبر في تبني قطاع من الجماهير ثقافة العنف ضد هؤلاء المبدعين، وقد تصل إلى حد العنف الدموي.

## المراجع:

### (أ) المراجع العربية والمترجمة:


١- إبراهيم الجميعي: طه حسين والجامعة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢- أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

٣- أندرو إدجار، وبيتر سيد جويك: موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية، تر: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م.

٤- أوموت أوزكيريملي: نظريات القومية، مقدمة نقدية، ترجمة: معين الإمام، المركز العربي لأبحاث ودراسات السياسة، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٥- جوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، لندن، دار الساقي، ط١، ١٩٩١م.

٦- جوناثان كولر: الأدب والدراسات الثقافية، ضمن كتاب النقد الثقافي نصوص تأسيسية، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، دار الفنون والآداب، العراق، ط١، ٢٠١٩م.

٧- جويل كوبر وجوزيف جي أفري: السذاجة ونطاق الشرعية، ضمن كتاب: السذاجة وعلم النفس الاجتماعي، تحرير: جوزيف ب. فورجاس، وروي ف. بوميستر، ترجمة: محمد صلاح السيد، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٢١م.

٨- حلمي النمنم: طه حسين والصهيونية، سلسلة كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، د.ت.

٩- سامح كريم: طه حسين ومعاركه الأدبية والفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٠ - صلاح عبد الصبور: ماذا يبقى منهم للتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١١- طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م.

١٢- من بعيد، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

١٣- عبد الإله بلقزيز: نقد السياسة في أمراض العمل السياسي، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، ط١، ٢٠١٩م.

١٤- عبد الحميد العيد الموسوي، وحسام الدين علي مجيد: الشعبوية في الشرق الأوسط: ماهية الخطاب وخصائصه المقارنة، دراسة تحليلية للظاهرة الشعبوية، مجلة العلوم السياسية، العدد ٥٨، بغداد، ٢٠١٩م.

١٥- عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٧م.

١٦- عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق الجمهور، بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، دار العين للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٧- فنسنت ب.لتش: النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات الى الثمانينيات، تر: محمد يحيى، وماهر شفيق أحمد، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٠م.

١٨- النقد الثقافي النظرية الأدبية وما بعد البنيوية، تر: هشام زغلول، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢م.

١٩- ك. نلوولف وآخرون: موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي - القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، جـ ٩، تر: إسماعيل عبد الغني، وهاني حلمي وآخرين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٠- محمد أحمد عرفة: نقض مطاعن في القرآن الكريم ، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٥١هـ.

٢١- محمد سعيد عريان: حياة الرافعي، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٠م.

٢٢- مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٤م.

٢٣- منى خويص: رجال الشرفات، دراسة تحليلية للظاهرة الشعبوية، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٢٤- نبيلة إبراهيم: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

٢٥- يان فيرنر مولر: ما الشعبوية، ترجمة: رشيد بوطيب، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، ط١، ٢٠١٧م.

## (ب) المراجع الأجنبيّة:

1. Pramod K Nayar, An Introduction To Cultural Studies, New Delhi, Viva Books, 2011..
2. Cas Mudde and Cristobal Rovira Kaltwasser, Populism, A Very Short Introduction, USA, Oxford University Press, 2017.

**(ج) الصحف والمجلات**:

١- خيري شلبي: وثيقة النيابة في قضية كتاب في الشعر الجاهلي، مجلة الهلال، عدد يوليه، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢- رجاء النقاش: طه حسين في قفص الاتهام، مجلة الهلال، عدد مايو، القاهرة، ١٩٧٧م.

٣- محمد رشيد رضا: الإلحاد في الجامعة المصريّة، مجلة المنار، ج٢، مجلد ٢٧.

٤- محمود خليل: كيف انقلب طه حسين من النقيض إلى النقيض؟ وما أبعاد المؤامرة؟، مجلة المجتمع الكويتية، العدد (٢١٧١)، سبتمبر ٢٠٢٢م.

**(د) المواقع والصفحات في شبكة المعلومات الدولية ومواقع التواصل**:

- https://daily.rosaelyoussef.com/139024
- https://www.facebook.com/ajplusarabi/posts/3827794493930734

# فهرس الموضوعات


| م | الموضـوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | ملخص | ٣٧١٠ |
| ٢- | Abstract | ٣٧١١ |
| ٣- | من ثقافة النخبة إلى الثقافة الشعبية: | ٣٧١٢ |
| ٤- | الشعبويّة الثقافيّة ووسائل التأثير فيها: | ٣٧٢٠ |
| ٥- | إشكالية طه حسين مع القطاع الشعبوي: | ٣٧٣٣ |
| ٦- | السرديّة الشعبويّة حول طه حسين: | ٣٧٤١ |
| ٧- | الوسائط الرقميّة وإعادة استنساخ الصورة: | ٣٧٤٩ |
| ٨- | المراجع: | ٣٧٦٠ |
| ٩- | فهرس الموضوعات | ٣٧٦٤ |


تم بحمد الله